مدونة المناهج السعودية

https://eduschool40.blog

الموقع التعليمي لجميع المراحل الدراسية

في المملكة العربية السعودية

الكتاب والسنة

الثقافة الإسلامية

٢

المتسوى الثاني

إعداد

نخبة متخصصة من أعضاء هيئة التدريس
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
http://sbc.kau.edu.sa

Scanned with CamScanner

© جامعة الملك عبدالعزيز ١٤٤١هـ
جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى: ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

الكتاب والسنة الثقافة الإسلامية: - المستوى الثاني. /

كلية الآداب والعلوم الإنسانية. - جدة، ١٤٤١هـ

٢٠٠ ص؛ ١٧x٢٤سم

ردمك: ٤-٣٧-٨٢٧٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الثقافة الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٣٧٧,١ ١٤٤١/٨٦٥هـ

رقم الإيداع: ١٤٤١/٨٦٥

ردمك: ٤-٣٧-٨٢٧٢-٦٠٣-٩٧٨

مطابع جامعة الملك عبدالعزيز

Scanned with CamScanner

المقدّمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم بالحق والميزان ليكون دستورًا وهدى للعالمين، وأرسل نبيه محمدًا ﷺ وأوحى إليه الحكمة وجعله للعالمين هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وبعد:

فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما المصدران الأساسيان لثقافة المسلم وأخلاقياته، وهما مصدرا السعادة الدنيوية والأخروية لمن عمل بهما، ومن تمسك بهما فلن يضل بعدهما أبداً.

وإن هذا المقرر يهدف إلى التعريف بالقرآن الكريم، وبيان حفظه وخصائصه وإعجازه وواجبنا نحوه، والتعريف بالسنة النبوية المطهرة، وبيان فضل النبي ﷺ، ودلائل نبوته، وواجبنا نحوه.

التقسيمات الرئيسية للمقرر

تمّ تقسيم الكتاب إلى قسمين على النحو التالي:

القسم الأول: القرآن الكريم، ويشمل الوحدات التالية:

الوحدة الأولى: مدخل إلى القرآن الكريم.

أولًا: تعريف القرآن الكريم.

ثانيًا: أسماء القرآن الكريم.

ثالثًا: أوصاف القرآن الكريم.

رابعًا: مثلُ القرآن الكريم.

خامسًا: نزول القرآن الكريم.

سادسًا: حفظ القرآن الكريم.

Scanned with CamScanner

الوحدة الثانية: إعجاز القرآن الكريم.

أولاً: تعريف الإعجاز.

ثانيًا: أهمية الإعجاز.

ثالثًا: أوجه الإعجاز في القرآن الكريم.

الوحدة الثالثة: واجبنا نحو القرآن الكريم.

أولًا: الإيمان والتسليم.

ثانيًا: التلاوة والتجويد.

ثالثًا: الاستماع والإنصات.

رابعًا: الحفظ والتثبيت.

خامسًا: التدبر والتفكر.

سادسًا: الإقراء والتعليم.

سابعًا: العمل والتخلق به.

ثامنًا: الدعوة إليه وبه.

الوحدة الرابعة: تدبر القرآن الكريم.

حقيقة تدبر القرآن الكريم.

أهمية تدبر القرآن الكريم.

قواعد في تدبر القرآن الكريم.

أمثلة تدبر القرآن الكريم.

نموذج تطبيقي في تدبر القرآن الكريم.

القسم الثاني: السُّنة النبوية.

الوحدة الأولى: مدخل إلى السنة النبوية.

أولًا: فضائل النبي ﷺ.

Scanned with CamScanner

ثانيًا: دلائل نبوة النبي ﷺ.

ثالثًا: تعريف السُّنة النبوية.

رابعًا: حُجية السُّنة النبوية.

خامسًا: علاقة السنة بالقرآن الكريم.

الوحدة الثانية: حفظ السُّنة النبوية وتدوينها.

أولًا: حفظ السنة النبوية.

ثانيًا: تدوين السنة النبوية.

الوحدة الثالثة: واجبنا نحو السُّنة النبوية.

أولاً- الإيمان بحُجية السنة النبوية

ثانياً- الرضا والتسليم للسنة النبوية

ثالثا- تقديم السنة النبوية على غيرها من أقوال البشر

رابعا- التحاكم إلى السنة النبوية والرد إليها عند التنازع

خامسا- العناية بحفظ السنة النبوية

سادسا- نشر السنة النبوية

سابعًا- التمسك بالسنة النبوية

الوحدة الرابعة: نماذج من السُّنة النبوية.

النموذج الأول: حديث الوَلاية

النموذج الثاني: حديث (قل آمنت بالله ثم استقم)

النموذج الثالث: حديث (يا عبادي)

نسأل الله أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

Scanned with CamScanner

ويشمل:

الوحدة الأولى: مدخل إلى القرآن الكريم.

الوحدة الثانية: إعجاز القرآن الكريم.

الوحدة الثالثة: واجبنا نحو القرآن الكريم.

الوحدة الرابعة: تدبر القرآن الكريم.

Scanned with CamScanner

١ | الوحدة الأولى

مدخل إلى القرآن الكريم

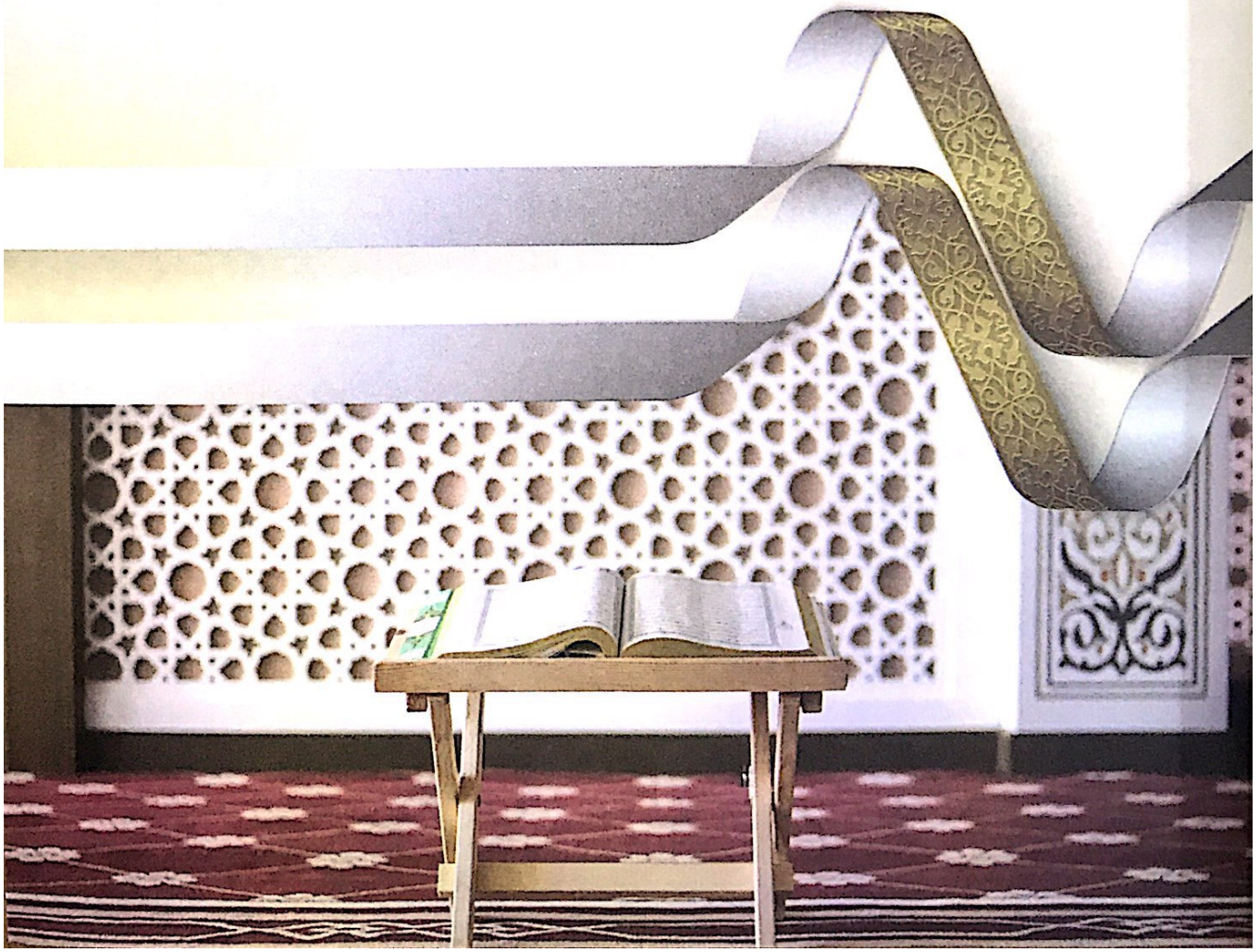

Scanned with CamScanner

الوحدة الأولى: مدخل إلى القرآن الكريم

تهدف هذه الوحدة إلى :

١-أن يُعرِّف الطالب القرآن الكريم لغةً واصطلاحًا.

٢-أن يعدد أسماء القرآن الكريم وأوصافه، ويميز بينها.

٣-أن يحدد خصائص القرآن الكريم.

٤-أن يعرف مُثُلَ القرآن الكريم في القرآن الكريم.

٥-أن يُعرِّف الوحي لغةً واصطلاحًا، ويميز صور الوحي.

٦-أن يعرف طريقة نزول القرآن الكريم وحكمة ذلك.

٧-أن يذكر عوامل حفظ القرآن الكريم.

Scanned with CamScanner

تعريف القرآن الكريم

القرآن لغةً: القرآن مصدر للفعل: «قرأ» بمعنى: تلا، وجُعل هذا المصدر اسماً للكلام المُنزَّل على نبينا محمد ﷺ، يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٧-١٨]. أي: قراءته.

والقرآن اصطلاحاً: هو «كلام الله، المُنزّل على نبيه محمد ﷺ، المُعجِز بلفظه، المُتعبَّد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس».

شرح التعريف:

كلام الله: الكلام جنس شامل لكل كلام، وإضافته إلى الله أخرجت كلامَ من سواه من الإنس والجن والملائكة.

المُنزّل: خرج بذلك كلامُ الله الذي لم يُنزّله على أحد واستأثر به لنفسه.

على نبيه محمد ﷺ: خرج بذلك ما نزل على غيره من الأنبياء، كالتوراة والإنجيل والزَّبور.

المُعجِز بلفظه: أي الذي لا قدرة لأحد على الإتيان بمثله.

المُتعبَّد بتلاوته: أي المأمور بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه التعبد لله تعالى، ويحصل به الثواب، وخرج بالإعجاز والتعبد: الحديث القدسي؛ إذ هو وحي لكنه غير مُعجِز ولا مُتعبَّد بتلاوته.

المنقول إلينا بالتواتر: أي الذي نقله إلينا الجمع الغفير من صحابة رسول الله ﷺ، وهكذا نقلته عن الصحابة جموع غفيرة ممن جاء بعدهم في كل طبقة وجيل، وهذا يُخرج القراءات الشاذة وما نُسخت تلاوته من القرآن.

المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس: خرج بذلك ما نُسخت تلاوته من الآيات.

Scanned with CamScanner

أسماء القرآن الكريم

ذكر الله تعالى القرآن بأسماء عديدة، مما يدل على عظيم شرفه ومكانته[١]

ومن أسماء القرآن الكريم:

١. القرآن:

دليله: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩].

مدلوله:

- أنَّ القرآن يُقرأ ويُتلى.
- أنَّ فيه إشارة لحفظه في الصدور.

٢. الكتاب:

دليله: قال الله تعالى: الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ[البقرة:١-٢].

مدلوله:

- أنَّ (الكتاب) مصدر كتب، ومعناه الجمع والضم، والقرآن جامع للحروف والألفاظ، والآيات والسور، وأنواع العلوم والأخبار.
- أنَّ فيه إشارة إلى كتابته وجمعه في السطور.

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٢/ ٣٤٠-٣٤٢.

Scanned with CamScanner

٣. الفرقان:

دليله: قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

مدلوله:

- أنَّ القرآن الكريم فرَّق بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والحلال والحرام، والخير والشر، وغير ذلك من الأضداد.

٤. الذِّكر:

دليله: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩].

مدلوله:

- أن القرآن الكريم اشتمل على المواعظ والعبر.
- أن القرآن الكريم اشتمل على أخبار الأنبياء والأمم الماضية.

أوصاف القرآن الكريم

ذكر الله تعالى القرآن بأوصافٍ عديدة، مما يدل على عظيم شرفه ومكانته(٢)

ومن أوصاف القرآن الكريم:

١. أنه كريم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾[الواقعة:٧٧].

فالقرآن الكريم معظم عند الله تعالى، فقد كرَّمه الله تعالى، ورفع قدره على جميع الكتب السابقة، وهو يُكرِّم حافظه ويُعظِّم قارئه.

---

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٢/ ٣٤٠-٣٤٢.

Scanned with CamScanner

٢. أنه نور:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[النساء:١٧٤].

فالقرآن الكريم يكشف الحقائق، ويجلوها ببيانه الواضح وبرهانه الساطع وحكمه القاطع.

٣. أنه برهان:

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء:١٧٤].

فالقرآن الكريم هو الدليل القاطع للعذر والحجة المزيلة لكل باطل وشبهة.

٤. أنه الحق:

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[الأنعام:٦٦]

فالقرآن الكريم هو الحقُّ الذي أنزله الله تعالى، وفيه إشارة إلى الباطل، الذي تحتويه الكتب المحرفة أو الموضوعة من البشر.

٥. أنه النبأ العظيم:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾[ص:٦٧].

فالقرآن الكريم ينبئ عن كل شيء عظيم، فهو ينبئ عن الله تعالى وعظمته، ووجوب التوحيد لله، وينبئ عن بداية خلق هذا الكون، حتى يستقر أهل الجنة في النعيم، وأهل النار في الجحيم.

Scanned with CamScanner

٦. أنه البلاغ:

قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾[إبراهيم:٥٢].

فالقرآن الكريم أبلغَ الناس ما أُمروا به ونُهوا عنه، في أحكام العبادات والمعاملات، وفي كلِّ ما يحتاج إليه البشر، والقرآن الكريم فيه بلاغٌ وكفاية عن غيره من الكتب المحرفة.

٧. أنه خاتم الكتب السماوية:

فقد جعل الله تعالى القرآن الكريم آخر الكتب السماوية؛ لأنه أُنزل على محمد ﷺ وهو خاتم النبيين، ولا نبي بعده.

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[الأحزاب:٤٠]

وقال النبي ﷺ: (كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي).(٣)

٨. أنه مصدقٌ لكتب الله تعالى السابقة، ومهيمنٌ عليها:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة:٤٨].

وقد جاء تصديق القرآن للكتب السابقة من وجوه متعددة، وهي:

الوجه الأول: أن دلائل ثبوت القرآن وصحته تدل على أنه وحي من الله تعالى، وتقرر إمكانية وقوع الوحي فعلًا، وبهذا يكون القرآن مصدِّقًا لأصل الوحي في الرسالات السابقة.

قال الله تعالى: ﴿۞إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

Scanned with CamScanner

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[النساء:١٦٣]

الوجه الثاني: أن القرآن العظيم جاء حسب وصفه الموجود في تلك الكتب، فهو يُصدقها؛ لأنه طابق ما بشرَّت به من بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن العظيم عليه.(٤)

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾.[البقرة: ٨٩]

الوجه الثالث: أنَّ القرآن العظيم وافق الكتب السابقة في مقاصد الدين وأصوله؛ فهو يصدِّقها فيما أُنزل فيها من أصل الإيمان بالله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وأصول الإيمان الستة، وأصول العبادات والشرائع؛ كوجوب الصلاة والصيام والزكاة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:١٨٣]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾[البقرة: ٨٣]

٩. أنه محفوظٌ بحفظ الله:

اختصَّ الله القرآن الكريم بالحفظ دون غيره من الكتب السابقة وتكفّل بذلك؛ فقال تعالى عن حفظ القرآن الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩]، وأما الكتب السابقة فأوكل حفظها إلى الأحبار والرهبان؛ قال تعالى: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾[المائدة:٤٤]، فلم يحفظوها بل حرَّفوا وبدَّلوا وضيَّعوا، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[آل عمران:١٨٧]، وقال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾[المائدة:٤١].

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير، ٢/ ٥.

Scanned with CamScanner

١٠. أنه شفاء للناس:

قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[الإسراء:٨٢]، ولم يقل الله إنه دواء بل وصفه بالشفاء؛ لأنَّ الشفاء ثمرة الدواء، ولم يعين نوع الشفاء بل جعله عامًّا، ليشمل شفاء الأسقام المعنوية من علل النفوس وأمراض القلوب، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[الرعد:٢٨]، وهو كذلك علاج للأمراض الحسية، فعن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ (كَانَ إذا اشتكى نفث عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ؛ وَمَسَح عنه بِيَدِه).(٥)

١١. أنه شفيع لأهله يوم القيامة:

يأتي القرآن يوم القيامة شفيعًا لأهله، وأصحابه، وهم الذين يتلونه حق تلاوته، ويقيمون حروفه وحدوده، ويشتغلون به تلاوة وتدبراً وعلماً وعملاً.

يقول ﷺ: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ).(٦)

وقال ﷺ: (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ).(٧)

---

(٥) صحيح البخاري (٤٤٣٩).

(٦) صحيح مسلم (٨٠٤).

(٧) مسند أحمد (٦٦٢٦).

Scanned with CamScanner

مَثَلُ القرآن الكريم

مثل القرآن الكريم في كونه أصلًا لحياة الأرواح كمثل الماء والنور في كونهما أصلا لحياة الأبدان، وبيانه كما يلي:

أولا- مثل الماء:

جاء في عدد من سياقات القرآن الكريم اقتران ذكر القرآن والمطر.

ومن هذه الآيات:

قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٢١-٢٣]

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾. [الفرقان:٤٨-٥٢]

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل:٦٤-٦٥]

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ

Scanned with CamScanner

حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُۥٓ ۖ ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾[فصلت:٣٩-٤٤]

ومن أوجه الشبه بين القرآن الكريم والمطر ما يأتي:

١- النزول من عند الله تعالى

قال الله تعالى عن المطر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[فاطر:٢٧، الزمر:٢١]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[ق:٩].

وقال الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[الفرقان:١]، وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾[إبراهيم:٢، ص:٢٩]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[السجدة:٢].

٢- الاتصاف بالبركة

البركة هي كثرة النفع بالشيء.

قال الله تعالى عن المطر: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾[ق:٩].

وقال الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾[الأنعام:٩٢، الأنعام:١٥٥]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾[ص:٢٩].

٣-الاتصاف بالطهورية

قال الله تعالى عن المطر: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ وَأَنزَلْنَا

Scanned with CamScanner

مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[الفرقان:٤٨]

وقال الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾[البينة:٢].

٤- الاتصاف بالإحياء

المطر يحيي به الله الأرض الميتة. قال الله تعالى عن المطر: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾[ق:١١]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾[النحل:٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[العنكبوت:٦٣]

وكذلك القرآن يحيي القلوب الميتة، قال الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الحديد:١٦-١٧]. وقال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:١٢٢].

٥- الاتصاف بكونه أصل الحياة

المطر والقرآن الكريم هما أصل الحياة، ولا حياة بغيرهما.

وقد جعل الله المطر أصل كل حياة على وجه الأرض، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[الواقعة: ٦٨-٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأنبياء: ٣٠].

وكذلك القرآن الكريم هو أصل حياة الأرواح، ولا حياة للروح بغيره، ولذلك سمى المعرضين عنه أمواتا، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم

Scanned with CamScanner

مُّسْلِمُونَ﴾[الروم:٥٢-٥٣]. وقال الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى:٥٢].

٦- الإتلاف والإهلاك في حق بعض الناس

فالمطر قد يكون عذابًا؛ كما كان لبعض أهل الكفر حين رأوا السحاب مقبلاً فقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ﴾، فقال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف:٢٤].

وكذلك القرآن يزيد الذين في قلوبهم مرضٌ رجسًا إلى رجسهم، ويسوقهم إلى جهنم والعياذ بالله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [الأحقاف:١٢٤-١٢٥] .

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت:٤٤].

٧- التفاوت في النفع والضر وفي أشكال الثمرات وأنواعها

فالمطر لا يكون نافعًا في كل أرض، قال الله تعالى عن المطر: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾[الأعراف:٥٧-٥٨].

وكذلك القرآن لا يكون نافعًا في حق كل أحد، قال رسول الله ﷺ عن الوحي الذي بعث به -ومنه القرآن الكريم-: (إنَّ مَثَلَ ما بَعَثَنِي اللهُ عزَّ وجلّ به من الهُدَى والعلم؛ كَمَثَلِ غَيْثٍ أصابَ أرْضًا؛ فكانت منها طائفة طيبة، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادِبُ أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفةً منها أخرى، إنما هِيَ قيعان لا تُمسِكُ ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مَثَل من فَقُه في دين الله، ونَفَعَهُ بما بَعَثَنِي اللهُ، فعَلِم وعلَّم، ومَثَل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هُدَى الله الذي

Scanned with CamScanner

أرسلت به). (٨)

والمطر يخرج ثمرات متفاوتة متنوعة مع أن الماء واحد؛ قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الرعد:٤].

والقرآن يردُ على أناس ثم يصدُرون عنه متفاوتين في الإيمان والعلم والعمل مع أن الكتاب واحد، وقد جاءت الإشارة إلى هذين الأمرين في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[فاطر:٢٧-٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾[الرعد:١٧].

والمطر لا يصل إلى بعض الأراضي بسبب حيلولة السدود؛ فلا تنتفع تلك الأراضي به كما هو مشاهد معلوم.

وكذلك القرآن الكريم قد تحول بعض السدود دون الانتفاع به، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[يس:٩-١١].

(٨) متفق عليه. أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

الكتاب والسنة
Scanned with CamScanner

ثانيا- مثل النور:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٥]

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾

قال الصحابي سيد القراء أبي بن كعب رضي الله عنه: أي مثل نوره في قلب المؤمن. والنور في قلب المؤمن في هذه الآية هو النور في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الزمر:٢٢].

والنور معروف، وهو ما يضيء ويُهتدى به في الظلمات.

وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني ما تقر به عيون أهل الإيمان وتبتهج به قلوبهم، وتفصيله كما يلي:

المشكاة: هي التجويف في الجدار الذي يوضع فيه المصباح، والمشكاة تلم النور وتوجهه وجهة واحدة حتى لا يتشتت النور ويتفرق، والمشكاة في الآية مَثَل صدر المؤمن الذي يتوجه إلى الله تعالى كليّاً، ولا يتشتت بالنظر إلى غير الله رياء وسمعة.

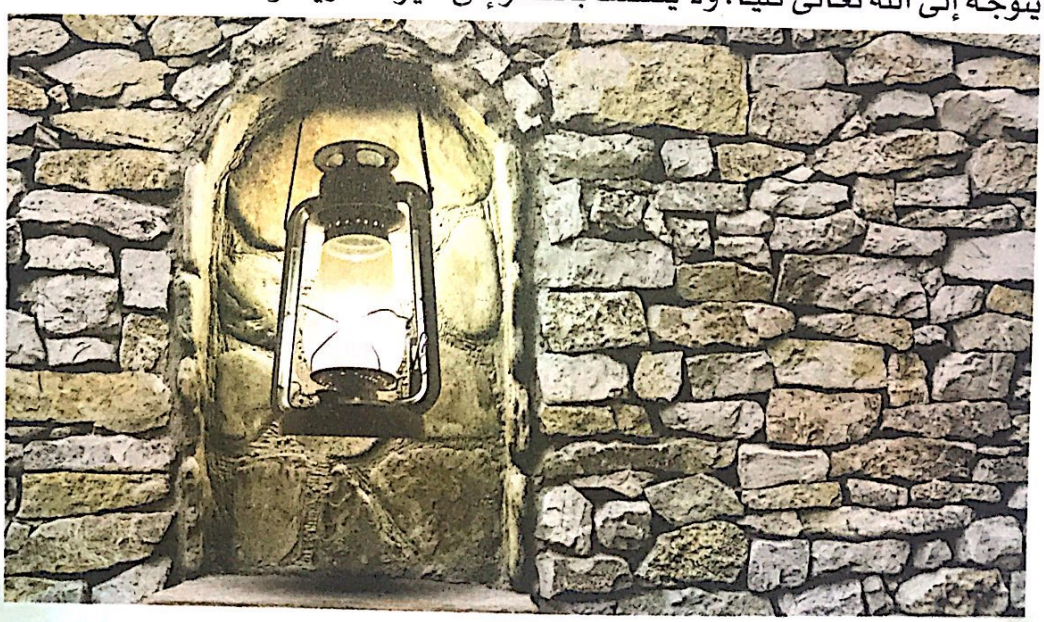

Scanned with CamScanner

والزجاجة: مَـثَـل قلب المؤمن، وشبّه قلبه بالزجاجة لرقّتها وصفائها وصلابتها، وكذلك قلب المؤمن فإنه قد جمع الأوصاف الثلاثة فهو يرحم ويحسن برقته، وتتجلى فيه صور الحقائق والعلوم بصفائه، ويشتد في أمر الله تعالى ويغلظ على أعداء الله تعالى بصلابته.

قال بعض السلف: القلوب آنية الله في أرضه، وأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها.

وقد شبّه القرآن صفاء الزجاجة وإضاءتها بالكوكب الدري.

ونور المصباح: مَـثَـل نور الإيمان في قلب المؤمن.

والمصباح: هو الفتيل المشتعل بنارٍ، والفتيل مَـثَـلُ همة القلب وعزيمته وإرادته، والفتيل يُستمد من شيئين: زيت وشعلة، وكلاهما نورٌ، فالزيت يضيء ولو لم تمسسه نار، والشعلة تزيد الإضاءة فهذا هو النور على النور.

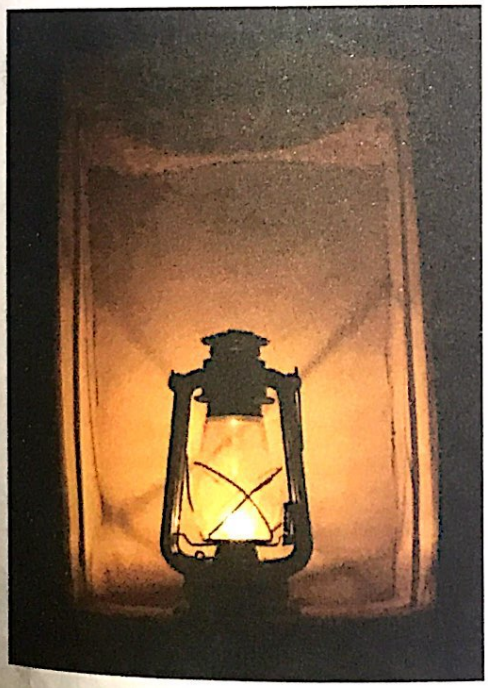

Scanned with CamScanner

والزيت: هو زيت الزيتون الذي قد عُصِرَ من شجرة زيتونة مباركة، والزيت الصافي مَثَلُ الفطرة الصافية الصحيحة، المستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المشروع.

وشجرة الزيتونة لا شرقية ولا غربية: أي نابتة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره.

وزيت هذه الشجرة: من أصفى الزيت وأبعده من الكدر، حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار، وهو مَثَل الفطرة الصحيحة البعيدة عن الانحراف شمالاً ويميناً، وفطرة المؤمن أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها، لم تنحرف انحراف النصرانية ولا انحراف اليهودية، بل هي وسط بين الطرفين المذمومين في كل شيء.

والنور الثاني: هو نور الوحي، فإذا وصل إلى فتيل المصباح شعلة نور الوحي، اشتعل ذلك النور في قلبه، فأضاء إضاءة عظيمة.

والنور على النور: هو نور الفطرة الصحيحة، ونور الوحي، فينضاف أحد النورين إلى الآخر فيزداد العبد نورا على نور، ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع فيه بالأثر، ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه ونطق به، فيتفق عنده شاهد العقل والشرع والفطرة والوحي، فيريه عقله وفطرته وذوقه أن الذي جاء به الرسول ﷺ هو الحق لا يتعارض عنده العقل والنقل ألبتة، بل يتصادقان ويتوافقان فهذا علامة النور على النور، عكس من تلاطمت في قلبه أمواج الشبهات الباطلة، والخيالات الفاسدة، فهي في صدره ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]

Scanned with CamScanner

وإضاءة نور الإيمان في قلب المؤمن تقوى بقدر:

١- **صفاء الزجاجة:** أي صفاء القلب من سوء القصد وسوء الفهم عن الله، فالزجاجة هي القلب.

٢- **صفاء الزيت عن الكدورات:** أي صفاء الفطرة والعقل من الضلالات والانحرافات التي تصرفه عن قبول الحق.

أهمية النور في الحياة

النور المحسوس -وهو نور السماوات والأرض- إذا فُقد من مكان أو موضع لم يعش فيه آدمي ولا غيره، لأن الحيوان إنما يتكون حيث النور، ومواضع الظلمة التي لا يشرق عليها نور لا يعيش فيها حيوان.

والنور المعقول -وهو نور الإيمان- إذا فُقِد من أمةٍ فهي ميتة، وإذا فُقِد من قلب فهو ميت.

والله سبحانه وتعالى يقرن بين الحياة والنور، كما في قوله ﷻ ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام:١٢٢].

وكذلك قوله ﷻ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾[الشورى:٥٢].

Scanned with CamScanner

أهمية الوحي في حياة الروح

من مثل الماء والنور يظهر أنه لا حياة للروح إلا بالوحي كما أنه لا حياة للأجساد إلا بالماء والنور.

نشاط: كم تستطيع أن تصمد البشرية على وجه الأرض إذا انقطع المطر من السماء عن الأرض كلها بشكل تام؟

والروح: مخلوق خلقه الله في كل إنسان، مقارنٌ لجسده، فالروح والجسد معًا يشكّلان الإنسان.

وهي مخلوق شريف مكرم، نسبها الله إلى ذاته تشريفا لها، فقال تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾[السجدة:٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[الحجر:٢٩].

وموت الروح: يراد به موت القلب وذلك إذا عدم العلم والهدى والإيمان.

وإحياء الروح: يكون بالوحي المشتمل على معرفة الله وتوحيده ومحبته وعبادته وحده لا شريك له؛ إذ لا حياة للروح إلا بذلك، وإلا فهي في جملة الأموات.

ولذلك سمى الله وحيه روحاً، قال الله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾[سورة النحل:٢]

وقال الله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾[غافر:١٥]

وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى:٥٢].

Scanned with CamScanner

غياب الوحي عن المجتمع

وقد أنزل الله تبارك وتعالى هذا الكتاب إلى خلقه -وهو أعلم بهم وباحتياجاتهم كلها- هاديًا لهم وقائدًا إلى الصواب في شتى المجالات، ومعالجًا لشؤونهم المتنوعة، وقد كان أمر الخلق قبل هذا القرآن في ضياع؛ وقد مقَتَ الله تبارك وتعالى أهلَ الأرض على ما هم فيه من البُعد والانحراف قبل بعثة النبي محمد ﷺ، قال ﷺ: (وإنَّ اللهَ نَظَرَ إلى أهْلِ الأرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إلَّا بَقَايَا مِن أهْلِ الكِتَابِ، وَقالَ: إنَّما بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لا يَغْسِلُهُ المَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ)[٩]، ففي بعثة النبي ﷺ بهذا الكتاب نقلةٌ للأمم من الانحطاط الذي وصلت إليه إلى هذا السموّ في العقائد والتشريعات والقيَم والأخلاق وشتى المجالات.

قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾[إبراهيم:١].

ومما تقدّم بيانُه في تفسير مثل الماء والنور (الشبه بين الماء والوحي والنور والوحي) نعلم أن قيام حياة الناس -الحياة الحقيقية- متوقفٌ على الوحي، تمامًا كتوقّف معاشهم على الماء والنور.

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[الملك:٢٢]، وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾[الأنعام:١٢٢].

غياب الوحي عن الفرد

من فقد الروح فقدَ فقدَ الحياة النافعة في الدنيا والآخرة:

أما في الدنيا فحياته حياة البهائم، وله المعيشة الضنك في الدور الثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار؛ فله في الآخرة جهنم لا يموت فيها ولا يحيا.

والمعيشة الضنك عكس الحياة الطيبة، والحياة الطيبة: هي حياة القلب ونعيمه وبهجته وسروره بالإيمان بالله ومعرفته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه، فإنه لا حياة

(٩) صحيح مسلم (٢٨٦٥).

Scanned with CamScanner

أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة.

وهذه الحياة الطيبة تكون في الدور الثلاث: دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار.

وقد جعل الله الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبته وعبادته؛ فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٧]، وقال تعالى ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ﴾[النحل:٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ﴾[هود:٣].

أنواع حياة الروح

- **حياة العلم من موت الجهل، فإن الجهل موت لأصحابه، كما قيل:**

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... فليس لهم حتى النشور نشور

فإن الجاهل ميت القلب والروح، وإن كان حي البدن فجسده قبر يمشي به على وجه الأرض، قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس:٦٩-٧٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢] .

وشَبَّههم في موت قلوبهم بأهل القبور فإنهم قد ماتت أرواحهم وصارت أجسامهم قبورا لها، فكما أنه لا يسمع أصحاب القبور فكذلك لا يسمع هؤلاء.

قال معاذ بن جبل: «العلم حياة القلوب من الجهل».

- **حياة الإرادة والهمة من موت الضعف والخور:**

كلما كان القلب أتم حياة، كانت همته أعلى، وإرادته ومحبته أقوى.

وضعف الإرادة والطلب من ضعف حياة القلب، والتعلق بالرذائل والشهوات المنقطعة يضعف هذه الحياة، ولا يزال الضَّعف يتوالى عليه حتى يموت، وعلامة موته أنه يكون بلا إرادة ولا همة.

Scanned with CamScanner

• **حياة الأخلاق والصفات المحمودة من موت الأخلاق الرذيلة وعدم الحياء:**

كلما كانت الأخلاق في صاحبها أكمل كانت حياة قلبه أقوى وأتم.

وخلق الحياء مشتق من الحياة اسمًا وحقيقةً؛ فأكمل الناس حياة أكملهم حياء، ونقصان حياء المرء من نقصان حياته، فإن الروح إذا ماتت لم تحس بما يؤلمها من القبائح فلا تستحي منها، فإذا كانت صحيحة الحياة أحست بذلك فاستحيت منه، وكذلك سائر الأخلاق الفاضلة والصفات الممدوحة تابعة لقوة الحياة وضدها من نقصان الحياة.

• **حياة الفرح والسرور وقرة العين بالله من موت الحزن والضنك والهم:**

هذه الحياة يدندن الناس كلهم حولها، وكثير منهم قد أخطأ طريقها وسلك طرقا لا تفضي إليها، بل تقطعه عنها، وسبب حرمانهم إياها ضعف العقل والتمييز والبصيرة، والبصيرة كالبصر، يصيبها العمى، والعور، والعمش، والرمد.

نزول القرآن الكريم

أولا- نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ:

لقد نزل القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة حسب الأحداث والمناسبات، منذ بدء نزوله عليه وهو في سنّ الأربعين، إلى أن لحق بالرفيق الأعلى في الثالثة والستين من عمره ﷺ.

وقد دلَّ على هذا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾[الفرقان:٣٢]. وقال الله جلَّ وعلا: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾[الإسراء:١٠٦].

ثانيا- الحكمة من نزول القرآن الكريم مفرقاً:

أولاً: تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتقوية قلبه:

وهذه الحكمة هي أجلُّ الحكم، وقد أشار الله إليها بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾[الفرقان:٣٢].

Scanned with CamScanner

وقد أخذ هذا التثبيت أشكالاً عدة:

١- تسلية النبي ﷺ عما يلقاه من قومه، ونهيه عن الحسرة عليهم أو الحزن لما يصيبهم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾[فاطر:٨]. وقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[الكهف:٦].

٢- حثُّ النبي ﷺ على الصبر والتحمل والثبات على ذلك، مع بيان أن العاقبة له ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[الأحقاف:٣٥]، وقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾[هود:٤٩].

٣- ذكر أخبار الأنبياء السابقين، وما لاقوه من أقوامهم، وما آل إليه حال الأنبياء وأتباعهم من النصر والتمكين، مع الخزي والخسران للقوم الكافرين؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[الأنعام:٣٤].

٤- ذكر الأدلة والبراهين الدالة على صدق نبوته ﷺ، مع البشارة له ﷺ بالنصر والظفر على الأعداء، قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[المجادلة:٢١].

٥- تثبيت قلوب أصحابه المؤمنين ﷺ وحثهم على الصبر والتحمل في سبيل ما يلاقونه من الكفار، وذكر قصص الأمم السابقة وما وقع لهم من أعداء الدعوة، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[البقرة:٢١٤].

ثانياً: تيسير حفظ القرآن وفهمه وتدبر معانيه والعمل به:

كان النبي ﷺ حريصاً على حفظ القرآن، حتى إنه كان يتعجّل القراءة قبل فراغ جبريل عليه السلام من قراءته؛ خشية أن يتفلّت شيء منه، حتى طَمْأنه مولاه سبحانه بتحقيق الحفظ له؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[القيامة:١٧-١٩]، ولا شك أن نزوله مُفرّقاً فيه تيسير لحفظه على النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، ولو نزل جملة واحدة لشقَّ عليهم حفظه، ولصعبَ عليهم فهمه، فضلاً عن ثقل العمل به والتزام أحكامه.

Scanned with CamScanner

ثالثاً: التدرج في تربية الأمة الإسلامية:

نزل القرآن الكريم على هذه الأمة وكانت قد رسخت فيهم العقائد الباطلة والعبادات الفاسدة والعادات المنكرة، والنفس البشرية يشقُّ عليها ترك ما تعودته مرة واحدة، فلو نزل القرآن الكريم على هذه الأمة جملة واحدة بكل عقائده وبجميع أحكامه وتشريعاته لنفرَ أكثر الناس من قبوله؛ لما فيه من الأوامر والنواهي المخالفة لبعض ما اعتادوه وألِفوه.

وقد بدأ الوحي أولاً بتناول أصول الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من الجزاء والحساب، وعرضَ كلَّ ذلك وأثبته بالحجج والبراهين؛ ليستأصل من نفوسهم ما استقر فيها من عقائدَ فاسدة، ثم تدرج بهم بعد ذلك في التشريع واستئصال المنكرات.

ولربما تدرج معهم في انتزاع المنكر الواحد كما حدث في تحريم الخمر، فقد تدرج القرآن في تحريمها على ثلاث مراحل:

فنزل فيها أول ما نزل قوله تعالى: ﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾[البقرة:٢١٩]، فشربها قوم وتركها آخرون.

ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ﴾[النساء:٤٣]، فضيَّق عليهم وقتها فكانوا يشربونها ليلاً وفي غير الأوقات القريبة من الصلوات.

ثم لما اعتادوا تركها بعد ذلك غالب يومهم حرمها تحريماً باتاً، فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المائدة:٩٠-٩١]، فقالوا جميعاً حينئذٍ: انتهينا ربنا.

وقد أشارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى هذه الحكمة البليغة في تنجيم القرآن، فقالت: (إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ. وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا. وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا. لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ

Scanned with CamScanner

أَلْعَبُ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[القمر:٤٦]، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ). (١٠)

رابعاً: بيان حُكم الله في الأحداث وقت الحاجة:

كانت الأحداث تقع في المجتمع المسلم؛ فكان الوحي ينزل للإجابة على أسئلتهم المتنوعة، ومن الأمثلة على ذلك:

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تشكو أن زوجها قال لها: أنت عليّ كظهر أمي، فنزلت سورة المجادلة، فيها آيات تبين حكم الظهار وكفارته، قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾[المجادلة:١]. (١١)

اتهم رجل زوجته بارتكاب الفاحشة، فأنكرت، فأنزل الله تعالى آيات اللعان، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾[النور:٦]. (١٢)

كان المسلمون يسألون رسول الله ﷺ لمعرفة حكم ما يعرض لهم، فكانت تنزل الآيات بالإجابة عما سألوا؛ كما في قول الله تعالى: ﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[البقرة:١٨٩]، وكذا في قوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾[البقرة:٢١٧]، وغيرها من الآيات الكثيرة.

خامساً: بيان إعجاز القرآن الكريم، وأنه حق منزل من عند الله تعالى:

فقد كان تنجيم القرآن الكريم من أعظم الدلائل على إعجاز القرآن، وأنَّه منزَّلٌ من عند الله، ويظهر ذلك من وجوه، منها:

١. أن القرآن الكريم لو نزل دفعة واحدة لقالوا: جاءنا دفعة واحدة فلا نستطيع معارضته، ولو جاءنا مُفرّقاً لعارضناه، فأراد الله أن يقطع عليهم الحجة؛ ليكون نزوله مُفرّقاً مع عدم معارضتهم أثبتَ في عجزهم.

٢. أن القرآن الكريم مع نزوله منجماً على رسول الله ﷺ في أكثر من عشرين عاماً -نزلت عليه الآيات خلالها على فترات من الزمن اختلفت فيها أحوال الرسول

---

(١٠) صحيح البخاري (٤٩٩٣).

(١١) مسند أحمد (٢٧٣١٩)، سنن أبي داوود (٢٢١٤)، السنن الكبرى للبيهقي (١٥٢٥٦).

(١٢) صحيح البخاري (٤٧٤٧).

Scanned with CamScanner

ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بين السعة والضيق، والأمن والخوف، والقوة والضعف، والفرح والترح-، إلا أنه محكم النسج، دقيق السبك، رصين المبنى، متناسق الأسلوب، مترابط الآيات والسور، كأنه عقد فريد، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١].

Scanned with CamScanner

حفظ القرآن الكريم

تكفَّل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم كما سبق بيانه في أوصافه، وقد هيأ الله تعالى الأسباب والعوامل العديدة لحفظ هذا القرآن العظيم، والتي يمكن أن نجمعها تحت جانبين رئيسيين هما:

الأول: حفظ الصدور من خلال الحفظ والتلقين.

الثاني: حفظ السطور من خلال الكتابة والتدوين.

الجانب الأول- ثبوت القرآن الكريم بالحفظ والتلقين، عوامله وشواهده:

أولاً: عناية النبي ﷺ بحفظ القرآن الكريم:

كان ﷺ شديد العناية بحفظ القرآن الكريم، حتى بلغ من شدَّة عنايته ﷺ به أنه كان في بادئ الأمر يحرّك به لسانه عند القراءة خشية أن يضيع شيء منه، حتى طمأنه الحق سبحانه بحفظه في قلبه، قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[القيامة:١٦-١٩].

ولقد كان القرآن الكريم يملأ حياة الرسول ﷺ في حضره وسفره، وفي عسره ويسره، لا يغيب عن قلبه، ولا يغفل عنه، يجتهد في تعاهده وتكراره، والائتمار بأوامره، والانتهاء عن نواهيه، وتبليغه إلى الناس كافة.

وقد ظهرت عناية النبي ﷺ بالقرآن وحفظه في صور، منها:

١. مدارسة النبي مع جبريل عليهما الصلاة والسلام للقرآن الكريم في كل عام مرة في شهر رمضان المبارك، وفي آخر رمضان دارسه مرتين، كما روت فاطمة رضي الله عنها حيث قالت: (فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ. (١٣)

٢. قراءة القرآن في الصلوات، والتهجد به في الليل، والإطالة في القراءة: فها هو

(١٣) متفق عليه. صحيح البخاري (٦٢٨٥)، وصحيح مسلم (٢٤٥٠).

Scanned with CamScanner

حذيفة ﷺ يقول: (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ. فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى. فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى. فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا. ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا؛ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ). (١٤)

٣. تلاوة القرآن الكريم على أصحابه ﷺ، وتعليمه لهم، وسرورهم بتلك القراءة، فعن أنس ﷺ قال: قال الرسول ﷺ لأُبيِّ بن كعب ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البينة:١]. قَالَ: وَسَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَبَكَى). (١٥)

٤. استماعه ﷺ إلى القرآن من الصحابة ﷺ؛ فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (قال لي رسول الله ﷺ: اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ. قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ! قَالَ: إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي. فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ رَفَعْتُ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ). (١٦)

٥. قراءة النبي ﷺ للقرآن الكريم في الحضر والسفر وفي كل أحواله وأوقاته، حتى على راحلته، فعن عبدالله بن مغفل ﷺ قال: (رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح). (١٧)

ثانياً: عناية الصحابة ﷺ بالقرآن الكريم:

أنزل الصحابة الكرام ﷺ القرآن الكريم المنزلة الأولى من نفوسهم، وجعلوه في المكانة اللائقة به، وكانوا يتنافسون في حفظه وفهم معانيه؛ حتى غدا أنيسهم في ليلهم ونهارهم، ولم يكن همّهم الحفظ وحده، بل جمعوا بين الحفظ والعمل، وكان اعتمادهم على التلقي والمشافهة.

وقد ظهرت عنايتهم بالقرآن الكريم في عدة أشكال منها:

١. حرصهم ﷺ على أخذ القرآن الكريم من فم النبي ﷺ مباشرة، وتلقي القرآن منه ﷺ، وسماعهم منه ﷺ كما أنزل عليه: فهذا ابن مسعود ﷺ

---

(١٤) صحيح مسلم (٧٧٢).
(١٥) متفق عليه. صحيح البخاري (٣٨٠٩)، وصحيح مسلم (٧٩٩).
(١٦) متفق عليه. صحيح البخاري (٤٥٨٢)، صحيح مسلم (٨٠٠).
(١٧) متفق عليه، صحيح البخاري (٤٢٨١)، صحيح مسلم (٧٩٤).

Scanned with CamScanner

يقول: (والله لقد أخذت مِنْ فِيِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بضعاً وسَبْعِينَ سُورَةً).[١٨]

٢. اجتماعهم ﷺ على مدارسة القرآن الكريم وحفظه، حيث رغَّبهم النبي ﷺ في ذلك وحثَّهم عليه فقال ﷺ: (مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ).[١٩]، وقد اشتهر جماعة من الصحابة ﷺ بإقراء القرآن منهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وغيرهم، ﷺ أجمعين.

٣. قيامهم الليل بالقرآن الكريم، فقد كان الصحابة ﷺ يهجرون لذيذ المنام، ويؤثرون عليه القيام، وقد قال رسول الله ﷺ لأبي موسى الأشعري: (لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ؛ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ)[٢٠]، وقال (إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار).[٢١]

ثالثًا: عناية من جاء بعد الصحابة إلى عصرنا الحاضر:

استمرت العناية بالقرآن الكريم وحفظه وتعلمه وتعليمه عبر القرون، منذ عصر التابعين ومن بعدهم، جيلًا بعد جيل، ومن مظاهر هذه العناية:

١. انتشار مجالس الإقراء في الأمصار والبلاد مع انتشار الإسلام، ونيل القرآن الكريم من العناية في الحفظ والمدارسة ما لم ينله غيره من الكتب.

٢. اهتمام العلماء بتأليف جملة كبيرة من المصنفات في تفسير القرآن الكريم، وفي ضبط تلاوته، وعلومه ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه.

٣. لقي القرآن الكريم في عصرنا هذا عناية خاصة في كل بقاع الأرض، حيث تقام

---

(١٨) متفق عليه. صحيح البخاري (٥٠٠٠)، صحيح مسلم (٢٤٦٢).

(١٩) صحيح مسلم (٢٦٩٩).

(٢٠) صحيح مسلم (٧٩٣).

(٢١) متفق عليه. صحيح البخاري (٤٢٣٢)، وصحيح مسلم (٢٤٩٩).

Scanned with CamScanner

المسابقات لتشجيع حفظة كتاب الله تعالى، وتنتشر دور تحفيظ القرآن الكريم في كل مكان، وأوقفت لأجلها أوقاف عديدة، وحظيت هذه الدور بالعناية والاهتمام من عامة المسلمين وخاصتهم، تنظيمًا ونفقة وعناية ورعاية.

الجانب الثاني: ثبوت القرآن الكريم بالكتابة والتدوين، أدلته ومراحله:

هيأ الله تعالى الأسباب لحفظ القرآن الكريم في السطور، منذ أن نزل على نبينا محمد ﷺ، ويمكن أن نفصل أبرز هذه الأسباب من خلال الحديث عن كتابة القرآن وتدوينه في مراحل متتابعة:

المرحلة الأولى: الكتابة والتدوين في عهد النبي ﷺ.

المرحلة الثانية: الكتابة والتدوين في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المرحلة الثالثة: الكتابة والتدوين في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وسنعرض فيما يأتي إلى هذه المراحل بشيء من التفصيل:

المرحلة الأولى: كتابة القرآن وتدوينه في عهد النبي ﷺ:

كان للنبي ﷺ كُتَّابٌ للوحي بلغوا أكثر من أربعين كاتباً، منهم: الخلفاء الأربعة، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي بن كعب، وعمرو بن العاص، والزبير بن العوام، وغيرهم رضي الله عنهم.

وقد كتب الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم على رقاع الجلد والخشب وغيرها من الوسائل المُتاحة في ذلك الحين، فكتبوا القرآن الكريم كاملًا بأمرٍ من النبي ﷺ، إلا إنَّ ما كتبوه كان مُفرّقاً. ولم يكن ما كتبوه مُرتّب السور، أما الآيات في السور فقد كانت مرتبة بأمر من الرسول ﷺ.

دليل الكتابة: ثبت عن صحابة رسول الله ﷺ أنهم كانوا يكتبون بين يديه ﷺ، وأنه كان يأمرهم بذلك، فعن عثمان رضي الله عنه قال: (إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ مِنَ السُّورِ ذَوَاتِ العَدَدِ، قَالَ: وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ يَكْتُبُ لَهُ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ فِي السُّورَةِ التِي فِيهَا كَذَا وَكَذَا... الحديث). (٢٢)

وعن البراء رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي

(٢٢) مسند أحمد (٣٩٩).

Scanned with CamScanner

ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٥] قال النبي ﷺ (ادعو فلاناً) وفي رواية (زيداً) فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف فقال (اكتب).[٢٣]

المرحلة الثانية: كتابة القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

١- سَنَة الكتابة: تم هذا الجمع في السنة الثانية عشرة من الهجرة بعد معركة اليمامة التي استشهد فيها كثير من قُرّاء الصحابة رضي الله عنهم.

٢- صاحب الفكرة: هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ حيث أشار بهذه الكتابة على الخليفة أبي بكر رضي الله عنه.

٣- سبب الكتابة: هو خشية ضياع شيء من القرآن بسبب موت كثير من القراء في المعارك.

٤- الذي قام بالكتابة: هو زيد بن ثابت رضي الله عنه بتكليف من خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد كان شاباً عاقلاً من كُتّاب الوحي.

٥- منهج الكتابة: اعتمد زيد رضي الله عنه في جمعه للقرآن منهجًا عالي الدقة، فإنّه على الرغم أنه كان حافظًا لكتاب الله في صدره، وكاتبًا للوحي، إلا أنه لم يقتصر على حفظه أو ما كتبه هو، بل أمر الناس أن يشتركوا في هذا الجمع، فكان عملًا جماعيًا بإشرافه، واستغرق هذا العمل الجليل قرابة العام الكامل.

واعتمد فيه زيد رضي الله عنه على أمرين اثنين معًا:

الأول: حفظ الصدور الذي كان يحفظه صحابة رسول الله ﷺ.

الثاني: ما كُتب في الجلود وغيرها في عهد النبي ﷺ، واشترط أن يشهد شاهدان على أن المكتوب من القرآن قد كُتب في عهد النبي ﷺ.

٦- المكان الذي حُفظ فيه:

تم حفظ هذا المجهود الكبير الذي قام به الصحابة رضي الله عنهم عند خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم بعد وفاته انتقل في حفظ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما توفي انتقل إلى ابنته زوج رسول الله ﷺ: حفصة رضي الله عنها وأرضاها، ثم أرسلته إلى خليفة

(٢٣) متفق عليه. صحيح البخاري (٤٥٩٤)، صحيح مسلم (١٨٩٨).

Scanned with CamScanner

المؤمنين عثمان ﷺ، بأمر منه كما سيأتي، ثم أعاده إليها.

عن زيد بن ثابت ﷺ قال: (وَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَيَاتَهُ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رضي الله عنهما). (٢٤)

وهكذا نرى أنَّه كان محفوظًا مصونًا، وفي أعلى مكان في الدولة الإسلامية.

٧- دليل الكتابة: عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ: (بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ لِمَقْتَلِ أَهْلِ اليَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ فِي المَوَاطِنِ كُلِّهَا، فَيَذْهَبَ قُرْآنٌ كَثِيرٌ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ»، قُلْتُ: «كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟»، فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ عُمَرَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «وَإِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، لاَ نَتَّهِمُكَ قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ، فَاجْمَعْهُ»، قَالَ زَيْدٌ: فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ بِأَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا كَلَّفَنِي مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلاَنِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ»، فَلَمْ يَزَلْ يَحُثُّ مُرَاجَعَتِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَيَا، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ، أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ وَالرِّقَاعِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، فَوَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التوبة:١٢٨]، إِلَى آخِرِهَا مَعَ خُزَيْمَةَ، أَوْ أَبِي خُزَيْمَةَ، فَأَلْحَقْتُهَا فِي سُورَتِهَا، وَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَيَاتَهُ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: «اللِّخَافُ: يَعْنِي الخَزَفَ»). (٢٥)

٨- إجماع الصحابة ﷺ: أجمع الصحابة ﷺ على المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق ﷺ، ونقلوه، ودرّسوه، وانتسخوا منه، وأقرؤوا به.

المرحلة الثالثة: كتابة القرآن الكريم في عهد عثمان ﷺ:

١- سنة الكتابة: تم هذا الجمع في السنة الخامسة والعشرين من الهجرة المباركة.

٢- صاحب الفكرة: هو حذيفة بن اليمان ﷺ؛ حيث أشار بهذه الكتابة على الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ.

---

(٢٤) صحيح البخاري (٧١٩١).

(٢٥) صحيح البخاري (٧١٩١).

Scanned with CamScanner

٣- سبب الكتابة: هو اختلاف القرَّاء في القراءة، بحيث كان كل قارئ ينتصر لقراءته ويخطّئ الأخرى.

٤- الذين قاموا بالكتابة: قام بهذه الكتابة أربعة من صحابة رسول الله ﷺ، هم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم.

٥- منهج الكتابة: لقد اعتمد الكَتَبَة في كتابتهم هذه على المصحف الذي كُتب في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد أرسل عثمان رضي الله عنه إلى حفصة رضي الله عنها يطلب منها المصحف، وأمر هؤلاء الرهط، فنسخوا المصحف في المصاحف، ثم أرجع عثمان رضي الله عنه المصحف إلى حفصة رضي الله عنها، وأرسل إلى كل مصر من الأمصار بمصحف مما نَسَخَ، وقارئ يقرأ بذلك المصحف، وأمر بما سواه من الصحف أن يُحرق، فتم هذا الجمع الذي يُسمّى الآن بالمصحف العثماني أو الرسم العثماني.

٦- دليل الكتابة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؛ أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى. فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ. فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ... حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ).[٢٦]

٧- إجماع الصحابة رضي الله عنهم: أجمع الصحابة رضي الله عنهم على المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه، ونقلوها، ودرّسوها، وانتسخوا منها، وأقرؤوا بها.

(٢٦) صحيح البخاري (٤٩٨٧).

Scanned with CamScanner

خلاصة الوحدة

القرآن الكريم هو كلام الله الذي أوحاه إلى النبي الكريم محمد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهو الكلام الذي به حياة الأرواح، وهو بمنزلة الماء والنور للأبدان، وقد نزل القرآن مفرقا على ثلاثة وعشرين سنة، على الوقائع والأحداث، وهو محفوظ بحفظ الله تعالى من التغيير والتحريف والتبديل، وقد أقام الله عددا من العوامل لحفظه لم يهيئها الله سبحانه وتعالى للكتب السابقة.

Scanned with CamScanner

أنشطة الوحدة

١- لو انقطع ماء المطر من السماء تماما عن الكرة الأرضية، هل يمكن العيش على الكرة الأرضية بالموارد الأرضية؟ وكيف؟ وكم سيستمر العيش عليها؟

.....

.....

٢- مرض الروح: ما هي مظاهره، وما هي آثاره؟ وموت الروح: ما هي مظاهره، وما هي آثاره؟

.....

.....

٣- في مثل النور: ذكرت الآية صورة مركبة من مشكاة، ومصباح، وفتيل، وزيت، وشجرة، لا شرقية ولا غربية، وشعلة، وإضاءة. ما المقصود بكل شيء من هذه الأشياء في المثل؟ وما أوجه الشبه بين هذه الأشياء وبين الأمور المقصودة بها؟

.....

.....

.....

٤- ما الفروق بين القرآن الكريم وغيره من الكتب السماوية؟

.....

.....

Scanned with CamScanner

٢ | الوحدة الثانية

إعجاز القرآن الكريم

Scanned with CamScanner

الوحدة الثانية: إعجاز القرآن الكريم

تهدف هذه الوحدة إلى :

١- أن يُبيّن الطالب أهمية المعجزات.

٢- يُعرّف المعجزة، والإعجاز، وإعجاز القرآن.

٣- أن يعدد أوجه الإعجاز في القرآن، ويُعرّفها.

٤- أن يذكر مراحل التحدي الواردة الإعجاز القرآني.

٥- أن يُبيّن أبرز وجوه الإعجاز البياني.

٦- أن يُبيّن الضوابط في دراسات الإعجاز العلمي في القرآن.

٧- أن يعدد نماذج من الإعجاز العلمي.

٨- أن يُبيّن خصائص التشريع القرآني.

٩- أن يُميز بين أمثلة إعجاز غيب الماضي وغيب الحاضر والمستقبل.

Scanned with CamScanner

أهمية المعجزات

بعث الله رسله عليهم السلام إلى الناس على اختلاف أزمنتهم وعصورهم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾[فاطر: ٢٤].

ولما كان بعض الناس يجحدون ويكفرون بالرسل عليهم السلام، فقد أيَّد الله رسله بالمعجزات الباهرات التي تدلُّ على صدق نبوتهم التي أرسلهم الله بها، وكانت معجزة كل نبي من جنس ما اشتهر به قومه، لتكون أبلغ في الدلالة على صدق رسالته، وإفحام مكذبيه ومنكري نبوته.

وكان كل رسول يؤيَّد بدلائل تثبت رسالته، وقد ثبتت للنبي ﷺ دلائل عديدة كشأن إخوانه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، غير أنَّ رسالة سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ تميَّزت عن جميع الرسالات بأنها رسالة عامة وخاتمة.

فهي عامة: لأنها إلى الناس أجمعين عربهم وعجمهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[سبأ:٢٨]، وقال ﷺ: (وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً).(٢٧)

وهي خاتمة: لأنها الرسالة الباقية إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾[الأحزاب:٤٠].

ولذا كان لا بد لهذه الرسالة من معجزة تلائم طبيعتها، فتتعدد وجوه إعجازها، وتستمر وتتجدد على مرّ الأيام، فكانت هذه المعجزة معجزة معنوية خالدة ألا وهي القرآن الكريم كلام رب العالمين، قال ﷺ: (مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قد أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ؛ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ).(٢٨)

---

(٢٧) صحيح البخاري (٣٣٥).

(٢٨) متفق عليه. صحيح البخاري (٤٩٨١). صحيح مسلم (١٥٢).

Scanned with CamScanner

معنى الإعجاز

الإعجاز لغة: إثبات العَجْز، والعَجْز هو: القصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة.

فالمعجزة اصطلاحاً هي: ما يؤيد الله به أنبياءه ورسله من الأمور الخارقة للسنن الكونية والتي لاقدرة للخلق على الإتيان بها، فتكون دليلاً على صدقهم وتأييد الله لهم.

وتعريف إعجاز القرآن هو: إثباتُ القرآنِ عجزَ الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله أو بسورة منه.

وإثبات العجز يكون أظهر وأبلغ عند تحقق أمور ثلاثة:

١. وجود التحدِّي.
٢. أن يملك المُتحدَّى أهلية وتفوقاً في موضوع التحدِّي.
٣. وجود الدافع لقبول التحدي عند من يُعرَض عليه التحدي.

وقد اجتمعت هذه الأمور الثلاثة في معجزة القرآن، فقد تحدى العربَ في ميدان البلاغة التي هم أربابها وسادتها، وكانت دوافعهم لقبول التحدِّي كبيرة، فهم حريصون على إثبات تفوقهم اللغوي ونبوغهم البلاغي من جهة، كما أنهم كانوا حريصين على إبطال دعوى الرسول ﷺ وإنكار نبوته، فلو وجدوا سبيلاً لإثبات قدرتهم على مضاهاة القرآن أو التفوق عليه لما تأخروا لحظة واحدة.

أوجه الإعجاز في القرآن

اتخذ الإعجاز القرآني أشكالاً ووجوهًا متعددة، ممتدَّة تتجدد عبر الزمان، منذ أن نزل على نبينا محمد ﷺ إلى أنْ يرث اللهُ الأرض ومن عليها، وتحدَّى به الناس أجمعين إلى عصرنا هذا، فلم يستطع أحدٌ أن يأتي بمثله، ولن يستطيعَ على مر الزمان، وسيبقى الإعجاز مستمرًا، فهو المعجزة الكبرى الخالدة إلى قيام الساعة، وسنذكر هنا أهم هذه الأوجه:

Scanned with CamScanner

أولاً- الإعجاز البياني:

معنى الإعجاز البياني في القرآن الكريم: بلوغ القرآن الغاية العظمى في أداء المعاني، ووضوحها، بما يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

يتجلى الإعجاز البياني في فصاحة القرآن وبلاغته:

والفصاحة: هي الظهور والبيان وخلو الكلام من التعقيد.

وفصاحة القرآن كونه لفظاً عربياً مستعملاً مؤدياً للمعنى بوجه لا تعقيد فيه.

البلاغة: مأخوذة من البلوغ، وهو الوصول إلى الشيء والانتهاء إليه.

وهي: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة.[٢٩]

وبلاغة القرآن: إيصاله المعنى إلى قلب المخاطب بعبارة سهلة موجزة.

وقد كان العرب أرباب فصاحة وبلاغة، وفرسان قول وبيان، ولهذا كانت معجزة النبي ﷺ القرآن الكريم البليغ المعجز؛ لتكون معجزته من جنس ما اشتهر به قومه، فالعربي تستهويه الكلمة الفصيحة، ويملك ناصيتَه البيانُ المعجز والأسلوبُ البليغ. فلم تكن هذه المعجزة في شيء لا يتقنونه، أو فن لا يحذقونه، بل تحداهم فيما يدركون، وفيما هم فيه بارزون.

وقد شهد بذلك حُذَّاقُهم، كالْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ حين (جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمِّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا. قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ، فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتُعَرِّضَ لِمَا قِبَلَهُ، قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا. قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ «فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً[٣٠]، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ[٣١] أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ

(٢٩) لسان العرب، لابن منظور، والقاموس المحيط، للفيروز ابادي، مادة (بلغ)، باب الغين، فصل الباء.

(٣٠) الطلاوة: الرونق والحسن. ينظر: لسان العرب، ١٥/ ١٤.

(٣١) المغدق: كثير الخير والماء والسخاء. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ١٠/ ٢٨٣.

Scanned with CamScanner

مَا تَحْتَهُ» قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ. قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: «هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[المدثر:١١] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[المدثر:٣٥] (٣٢)

مراحل التحدي الواردة في الإعجاز القرآني:

تحدَّى الله سبحانه وتعالى الناسَ بأن يأتوا بمثل القرآن الكريم على عدة مراحل: (٣٣)

المرحلة الأولى: تحداهم الله تعالى بأن يأتوا بمثل هذا القرآن كلِّه، فقال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء:٨٨].

المرحلة الثانية: تحداهم الله تعالى بأقل من ذلك: أن يأتوا بعشر سور من مثله، فقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[هود:١٣-١٤].

المرحلة الثالثة: تحداهم الله تعالى بأقل من ذلك: أن يأتوا بسورة واحدة من مثله، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس:٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾.

[البقرة:٢٣-٢٤].

(٣٢) المستدرك على الصحيحين (٣٨٧٢).

(٣٣) اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في تحديد هذه المراحل، ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٢/١٠٠١-١٠٢٤.

Scanned with CamScanner

نتيجة التحدي:

أخبر القرآن بنتيجة التحدي وعاقبته، في كل المراحل أنها كانت فشلاً وعجزاً، مع أنهم أفصح الأمم، وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة، مع شدة عداوتهم له وبغضهم لدينه، ورغبتهم القوية في الانتصار لدينهم، ومع هذا عجزوا عن ذلك، بل إن هذه النتيجة كانت شاملةً للجن والإنس معاً، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. [الإسراء: ٨٨].

وهذا الإعجاز مستمرٌ إلى قيام الساعة، وقد اتخذ وجوهًا متعددة.

Scanned with CamScanner

وجوه الإعجاز البياني:

لو استعرضنا آيات القرآن الكريم من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، لوجدنا كل آية قد تحققت فيها الفصاحة والبلاغة في أبهى صورها، ولوجدنا أن معاني الكلمات تنساب إلى القلب قبل أن تبهرنا الألفاظ بجمالها. وفيما يأتي أبرز وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم:

الوجه الأول: استخدام الأساليب البلاغية المتنوعة بحسب مقتضى الحال:

تنقسم الأساليب البلاغية إلى ثلاثة أقسام رئيسية: (المساواة - الإيجاز - الإطناب).

وقد تميز الأسلوب القرآني باستخدامه لهذه الأساليب بمقتضى الحال، وفيما يلي بعض الأمثلة عليها:

الأسلوب الأول (المساواة): وهو الكلام المتصف بالمساواة بين ألفاظه ومعانيه، مع مطابقته لمقتضى الحال.

والأصل في الكلام بأنْ يُؤْتَى بِه مساوياً للمعاني الّتي يدلُّ عليها، دون أن تكون ألْفاظُهُ زائدةً أو ناقصة.

إلا أن كثيرًا من الناس لا يستطيعون غالبًا أن يطابقوا بين الجمل المنطوقة والمعاني الواردة فيه، فهم بين الإيجاز المخلِّ بالمعنى، أو الإطناب الزائد عنه، بل قد يصل بالكثيرين إلى الإسراف في الكلام، لكنَّ القرآن الكريم برع في استخدام هذا الأسلوب بمقتضى الحال والمراد.

مثال ذلك: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣]

الأسلوب الثاني (الإيجاز): وهو الكلام المتصف بالإيجاز غير المخل، مع مطابقته لمقتضى الحال.

إنَّ الناظر في اللغة العربية يجد كثيراً من العبارات والاستعمالات الموجزة التي تحتمل أو تتضمن أكثر من معنى، وكلٌّ مراد مطلوب، بمعنى أن المتكلم بدلاً من أنْ يوسع في الألفاظ لأجل المعاني، نجده يوجز ويصيب هدفه بسهولة ويسر من غير خلل في المعنى، والإيجاز ذروة البلاغة، وهي ميزة في اللغة العربية لا نجدها في كثير من اللغات، وهي

Scanned with CamScanner

التعبير عن المعنى الكثير باللفظ القليل، بمعنى أنْ يزاد في المعنى من غير أنْ يزاد في اللفظ.

وقد نزل القرآن العظيم بهذه اللغة، وتضمَّن أساليب متعددة في تحقيق إيجاز اللفظ وسعة المعنى، وتحدى العرب في ذلك، والأمثلة في ذلك كثيرة، منها:

قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾. [الزلزلة: ٧ - ٨].

فهذا البيان القرآني على قِصَره وقلَّة كلماته دلَّ على معانٍ عظيمة:

١. كلمة «مَنْ» من ألفاظ العموم، فهي تعطي دلالة كليّة عامَّة تَشْمَلُ كلَّ مكلَّف.

٢. الفعل "يَعْمَل" يشمل كلّ عَمَلٍ إراديٍّ من الأعمال الظاهرة والباطنة.

٣. عبارة «مثقال ذرّة» عبارةٌ ذات شمول يبدأ من أصغر الأعمال وأقلّها عدداً، وينطلق دون حدود عِظَماً وعدداً كثيراً.

٤. كلٌّ من كَلِمَتَيْ: «خيراً» و«شرّاً» تفيد العموم الذي يشملُ كلَّ خير وكلَّ شرّ ظاهرًا أو باطنًا.

٥. كلمة: «يَرَهُ» تدلُّ على حتميّة رؤيَة عَمَلِه الذي كان عَمِلَهُ في الدنيا، إذْ يراهُ في كتاب أعماله مسجَّلاً بالصُّورة والصوت والخواطر والنَّيات.

الأسلوب الثالث (الإطناب): الكلام المتصف بالإطناب لاشتماله على زيادة ذات فائدة، مع مطابقته لمقتضى الحال.

ولا يوجد في القرآن كلمة زائدة، فكل زيادةٌ فيه لها إضافة معنى إما تأكيدًا أو توضيحًا.

ومن الأمثلة على أسلوب الإطناب:

قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

فإنَّ تكرار لفظتي: (العسر واليسر) في الآيتين من الإطناب البليغ، ومن فوائده:

١. التأكيد على المعنى، بأنَّ العسر لابد أن يعقبه اليسر.

٢. إضافة معنى، وهو: أنَّ العسر يأتي معه يُسْرَانِ. فالعسر في الآيتين جاء معرفة، والمعرفة إذا تكررت لا تقتضي المغايرة، ولذا فالعسر الأول هو عين العسر الثاني، وأما اليسر فجاء نكرة في الآيتين، وإعادة النكرة تقتضي المغايرة كما يقول النحاة؛ ولذا فاليسر الأول غير الثاني، ويدلُّ على هذا المعنى ما جاء في الأثر، عن عمر بن

Scanned with CamScanner

الخطاب ﷺ قال: (لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ).[٣٤]

الوجه الثاني: دقة أداء الألفاظ للمعاني:

إن كل كلمة في القرآن الكريم تؤدي معنىً دقيقاً محدداً، ويكون هذا المعنى هو الأبلغ والأفصح، وهو المقصود من الآية، ومما يزيد الإعجاز وضوحاً أن استخدام أي كلمة أخرى من مرادفات الكلمة القرآنية لا يمكن أن تؤدي المعنى المراد ببلاغته ووضوحه.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة:٨]

فلفظ (ملاقيكم) لا يقوم مقامه غيره من الألفاظ، كلفظ (آتيكم) أو (مدرككم) أو غير ذلك؛ فإن لفظ الملاقاة أبلغ في بيان معنى عدم نفع الفرار من الموت.

الوجه الثالث: التناسب البليغ بين مضامين الآيات والأسماء الحسنى في خواتيمها:

من وجوه الإعجاز البياني أن كلَّ اسم من الأسماء الحسنى خُتمت به آية من الآيات يكون هو الأنسب، وتكون الصلة بينه وبين مضمون الآية ومعناها وطيداً، ويأتي مكملاً للمعنى بأبلغ صورة وأجمل لفظ، ولو وضعنا اسماً آخر من الأسماء - وكلُّها حسنى وتدل على الحق جل وعلا - لم يكن ذلك محققاً للدلالة الدقيقة والبلاغة الرفيعة نفسها.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة:٣٨-٣٩].

فهناك تناسق كبيرٌ بين الاسمين (العزيز) و (الحكيم) وبين حكم قطع يد السارق، في الآية الأولى بينما نجد الآية الثانية تنتهي بالاسمين (غفور) و (رحيم) وهي تتناسب تناسبًا كبيرًا مع قبول توبة السارق.

(٣٤) المستدرك على الصحيحين (٣٩٤٩).

Scanned with CamScanner

ثانياً- الإعجاز العلمي:

معنى الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: هو إخبار القرآن الكريم بحقائق أكّدها العلم الحديث، ثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ.

ويعتبر الإعجاز العلمي دليلاً على أنَّ مُنزِّل هذا القرآن العظيم هو خالق الكون والعالم بأسراره.

ضوابط في دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

١- التسليم بأن القرآن كتاب هداية: فينبغي أن تكون الدراسات القرآنية المتعلقة بالآيات الكونية والحقائق العلمية في حدود تحقيق هذا الهدف الأساس للقرآن الكريم؛ لأن القرآن ليس كتاباً علمياً متخصصاً حتى يكون مستوفياً أو مَعْنياً باستيعاب حقائق العلوم المختلفة.

٢- الالتزام بالحقائق العلميّة: يجب الاقتصار في شرح الآيات الكونيّة على الحقائق العلميّة الثابتة بالقطع، ولا يجوز تفسير الآيات بفَرَضيّات أو نظريّات لم ترتق إلى مستوى الحقيقة العلمية الثابتة؛ لأنَّ الحقائق القرآنية هي حقائق نهائية قاطعة.

٣- اليقين باستحالة التصادم بين الحقائق القرآنيّة والحقائق العلميّة: لأننا نؤمن أنَّ القرآن الكريم منزّل من عند الله، والحقائق العلميّة التي تكتشف هي من صنعة الحقِّ سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الفرقان:٦].

٤- الالتزام بدلالات وقواعد اللغة العربية: فينبغي فهم نصوص القرآن وفق قواعد هذه اللغة، وفي حدود دلالات ألفاظها، كما هو مقرر في قواعد تفسير القرآن؛ فلا يجوز ليّ أعناق النصوص، والتكلف في تأويل الآيات، لتتوافق مع دلالة المسائل العلميّة المعاصرة.

٥- معرفة ومراعاة مرونة الأسلوب القرآنيّ؛ فللقرآن في التعبير عن الآيات الكونيّة أسلوب خاص متميّز بالروعة والإبداع، فهو يجمع بين البيان والإجمال حيناً، وبين الحقيقة والمجاز حيناً آخر، فمتى ترجَّحت عندنا بالحقائق العلمية إحدى دلالات النظم القرآنيّ، فلا ينبغي إبطال باقي الدلالات الأخرى للنّظم؛ فقد تظهر مستقبلاً حقائق أخرى لم نتمكن من

Scanned with CamScanner

التوصل إليها الآن.

ومن نماذج الإعجاز العلمي للقرآن الكريم الدقة في وصف الجبال:

بيَّن الله تعالى أنَّ من آياته العظام أنَّه جعل الجبال أوتادًا، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[النبأ:٧].

ولم يُعرف عن الجبال عند السابقين إلا أنها كتل صخرية عالية الارتفاع عن سطح الأرض، إلى أن كشفت البحوث الجيولوجية الحديثة أنَّ الجبال كالأوتاد شكلًا ووظيفة، ذلك بعد أنْ تبيَّن لهم أنَّ القشرة الأرضية عبارة عن قطع متجاورات وأسموها بالألواح الأرضية، وأنَّ الجبال تطفو على بحرٍ من الصخور المرنة، وأنَّ للجبال جذورًا تتناسب طرديًا مع علوها وارتفاعها، وأنَّ هذه الجبال مع جذورها تقوم بوظيفة الوتد في تثبيت ألواح القشرة الأرضية، حتى لا تميد وتضطرب.

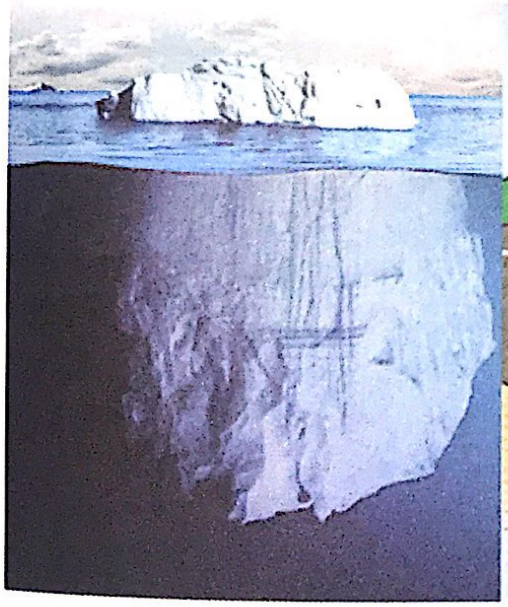

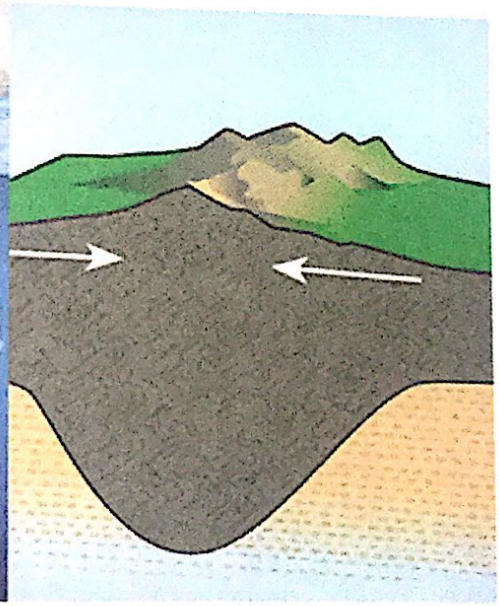

Scanned with CamScanner

ثالثا- الإعجاز التشريعي:

خلق الله الإنسان، ووضع الله له تشريعاً معجزاً ينظم علاقته مع خالقه سبحانه ومع الخلق أجمعين، وهذا التشريع يحقّق له سعادة الدنيا ونعيم الآخرة، وجميع هذه التشريعات جاء بها القرآن الكريم.

ومعنى الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم: تشريع القرآن الكريم ما يلبي حاجات البشر ويحقق مصالحهم في جميع المجالات، على أكمل الوجوه وأتمها في سائر الأحوال والأزمان، بما يعجز البشر عن الإتيان بمثله، ويحقق لهم العدل بين كافة الأفراد.

والناظر في هذا التشريع يدرك -من خلال ما تميز به من خصائصَ- مدى عظمة الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، حيث إنَّ هذا التشريع جاء على لسان رجل أمي (محمد ﷺ)، عاش في أمَّة أمية لا يمكن لهم الإتيان بهذه التشريعات الكاملة الشاملة.

خصائص التشريع القرآني:

امتاز هذا التشريع بخصائص عجزت سائر التشريعات أن تأتي بمثلها، وكان من أبرزها:

١- ربانيته، حيث إنه التشريع الوحيد في العالم اليوم الذي مصدره كلام الله المصون عن التحريف والتبديل.

٢- صلاحيته لكل زمان ومكان، فالتشريع القرآني ثابتٌ على مَرِّ الدهور والأيام، وصالحٌ لكل زمان ومكان، وهي سمة لا تتأتى لأي تشريعٍ أو قانون.

أما القوانين والنظم البشرية محدودة بزمان أصحابها ومرتبطة بمعارفهم، لكنها لا تصلح لجميع البشر، ولا لجميع الأزمان والأماكن.

٣- ثباته ومرونته: من خصائص التشريع القرآني أنه جمع بين الثبات والمرونة، حيث نجد هذا التشريع الرباني - مع ثبات أصوله - غير جامد ولا متحجر، ولا يقْصُر عن استيعاب ما استجد في حياة الناس في كل عصر.

٤- شموليته: فهو تشريع شامل للناس كافة، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، أفراداً ومجتمعات، وفيه الصيانة لمصالحهم والتنظيم لشؤونهم.

Scanned with CamScanner

٥- كماله: فهو التشريع الكامل الذي يحتاجه البشر، والذي لا يُصلحهم غيره، ذلك أنه منزل من عليم خبير لطيف بخلقه. حيث يرقى بما انحطَّ من أخلاق الناس، ويقوِّم ما اعوج من سلوكهم، فهو أكمل التشريعات في حفظ حقوق الإنسان، مسلماً أو كافراً، ذكراً أو أنثى، صغيراً أو كبيراً، حاكماً أو محكوماً. وهو أكمل التشريعات في البر بالآباء، وهو أكملها في رعاية الأبناء.

٦- أخلاقيته: فهو تشريع يرعى الآداب ومكارم الأخلاق في كافة مجالات الحياة.

- حيث اهتم بسلوك الإنسان الفردي، كآداب الطهارة والزينة. قال الله تعالى: ﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١].

- وكذا اهتم بسلوك الإنسان الاجتماعي فراعى جانب الأخلاق في سائر مُعاملاته مع غيره من البشر. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]. وقال الله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠].

- وكذلك اهتم بسلوك الإنسان مع الحيوان، فمن ذلك ما رواه عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه [٣٥] فسكت فقال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل فجاء فتى من الأنصار فقال لي يا رسول الله فقال: (أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتُدئبه). [٣٦]

٧- واقعيته: فهو تشريع واقعيٌ، واجه مشكلات الحياة على صعيد الفرد والأسرة والمجتمع، وشرع لهم من الأحكام ما فيه علاج لواقعهم، دون أن يكون في تطبيقهم هذه الأحكام أي عنت أو حرج عليهم، ومن الأمثلة على ذلك:

- مراعاة الواقع في التشريع الإسلامي فيما شرعه من الأحكام مراعياً فيه ما فطر عليه الإنسان من الشهوات والغرائز، كإباحة الأكل والشرب والنكاح.

---

(٣٥) الذفران: مثنى ذفرى، والذفرى من البعير مؤخر رأسه، أصل أذنيه. وقوله: (تدئبه) أي تُكرهه وتُتعبه. ينظر: عون المعبود، ٧/ ١٥٨.

(٣٦) سنن أبي داود (٢٥٤٩).

Scanned with CamScanner

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٢].

- مراعاة الواقع في التشريع الإسلامي فيما شرع في التفريق بين الزوجين بالخلع أو الطلاق، فليس من الواقعية أن يجبر الزوجان على إبقاء الرابطة الزوجية مع قيام ما يدعو إلى انفصالها من وجود نفرة أو كراهية أو ظلم، فالتفريق أحيانا يكون هو الأفضل لهما. قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾[النساء:١٣٠].

٨- تكامل أحكامه: فلا يوجد تعارض بين أحكامه ومبادئه، بل كلها تتكامل لتحقق مصالح العباد وسعادتهم في الدنيا والآخرة. فلا تعارض بين حقوق الراعي وحقوق الرعية، أو بين حقوق الفرد وحقوق الجماعة، أو بين حقوق الآباء وحقوق الأبناء، أو بين حقوق الزوج وحقوق الزوجة.

قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥].

٩- يُسر أحكامه: فلا مشقة فيها ولا حَرَجَ، قال الله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[المائدة:٦].

وراعى الظروف التي قد تطرأ على الإنسان: كالمرض والسفر والمطر والإكراه والخطأ والنسيان، فشرع الإسلام عند ذلك أنواعاً من التخفيف.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥].

رابعًا- الإعجاز الغيبي:

معنى الإعجاز الغيبي: إخبار القرآن عن أحداث سابقة لنزوله ومعاصرة له وتالية له، لم يشهدها النبي ﷺ ولا سبيل إلى علمه بها، إخباراً دقيقاً صحيحاً، بما يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

فمن أمثلة غيب الماضي: قصص الأنبياء، فقد وقعت قبل ولادة النبي ﷺ، فمن ذلك:

Scanned with CamScanner

قول الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[يوسف:٣].

ومن أمثلة غيب الحاضر: ما كشفه القرآن من خطط الأعداء ومكرهم، حيث اجتمع سادات قريش في دار الندوة يريدون قتل النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.[الأنفال: ٣٠].

ومن أمثلة غيب المستقبل: قوله تعالى: ﴿الم ① غُلِبَتِ الرُّومُ ② فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑤﴾ [الروم:١-٥]، ومنه الإخبار باليوم الآخر وتفاصيل مايكون فيه.

خامسًا- الإعجاز النفسي:

ومعنى الإعجاز النفسي في القرآن الكريم: تنوع الخطاب القرآني بما يحيط بجميع مشاعر النفس البشرية المختلفة، ويلبي حاجاتها، ويعالج عللها، ويؤثر فيها، ويوجهها نحو الخير بما يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

في الآية وصف لطبيعة خطاب القرآن الكريم وتنوعه وحسنه، وتفوقه في تأثيره في النفوس. إن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يتجاوز سماع الآذان ليصل إلى أعماق النفوس وخلجات المشاعر، حتى يهيمن بسلطانه على ملكات العقل ومشاعر النفس، فتارة ينشر فيها السرور بجميل وعده، وتارة يبث فيها الخوف بشدة وعيده، وتارة ثالثة يجمع بين هذا وذاك.

Scanned with CamScanner

خلاصة الوحدة

أن القرآن الكريم كتاب فريدٌ، عزيزٌ، لا يشبهه شيء، ولا يدانيه شيءٌ، ولا يقاربه شيءٌ، أعجز البشر أن يأتوا بمثله، ولا عجب؛ إذ هو كلام الله تعالى.

ومقارنة القرآن بغيره من كلام البشر، هي مثل المقارنة بين الخالق جل جلاله وغيره من المخلوقات.

وقد أذعن له البشر بعد التحدي، واعترفوا بفضله، واعترفوا بعجزهم، ابتداءً من المشركين الذين عاصروا بدايات نزول القرآن الكريم كالوليد بن المغيرة، إلى الكفار والملحدين المعاصرين.

وأوجه إعجازه متنوعة عديدة، منها الإعجاز البياني، والعلمي، والتشريعي، والنفسي، وغير ذلك.

Scanned with CamScanner

أنشطة الوحدة

١- اذكر مقطعا قرآنيا أثر فيك جدا، مع بيان سبب التأثر، وهل هو بسبب ترتيل القارئ أم التفسير البياني البلاغي أم بسبب المعاني الملامسة للقلب أم لغير ذلك؟

.....

.....

.....

.....

.....

٢- ما هي الكتب -غير القرآن الكريم- التي يتم حفظها عن ظهر قلب، في أي مكان في العالم؟ وكم عدد حفاظها؟ وما مظاهر العناية بها؟

قارن ذلك بالقرآن الكريم.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

Scanned with CamScanner

٣ | الوحدة الثالثة

واجبنا نحو القرآن الكريم

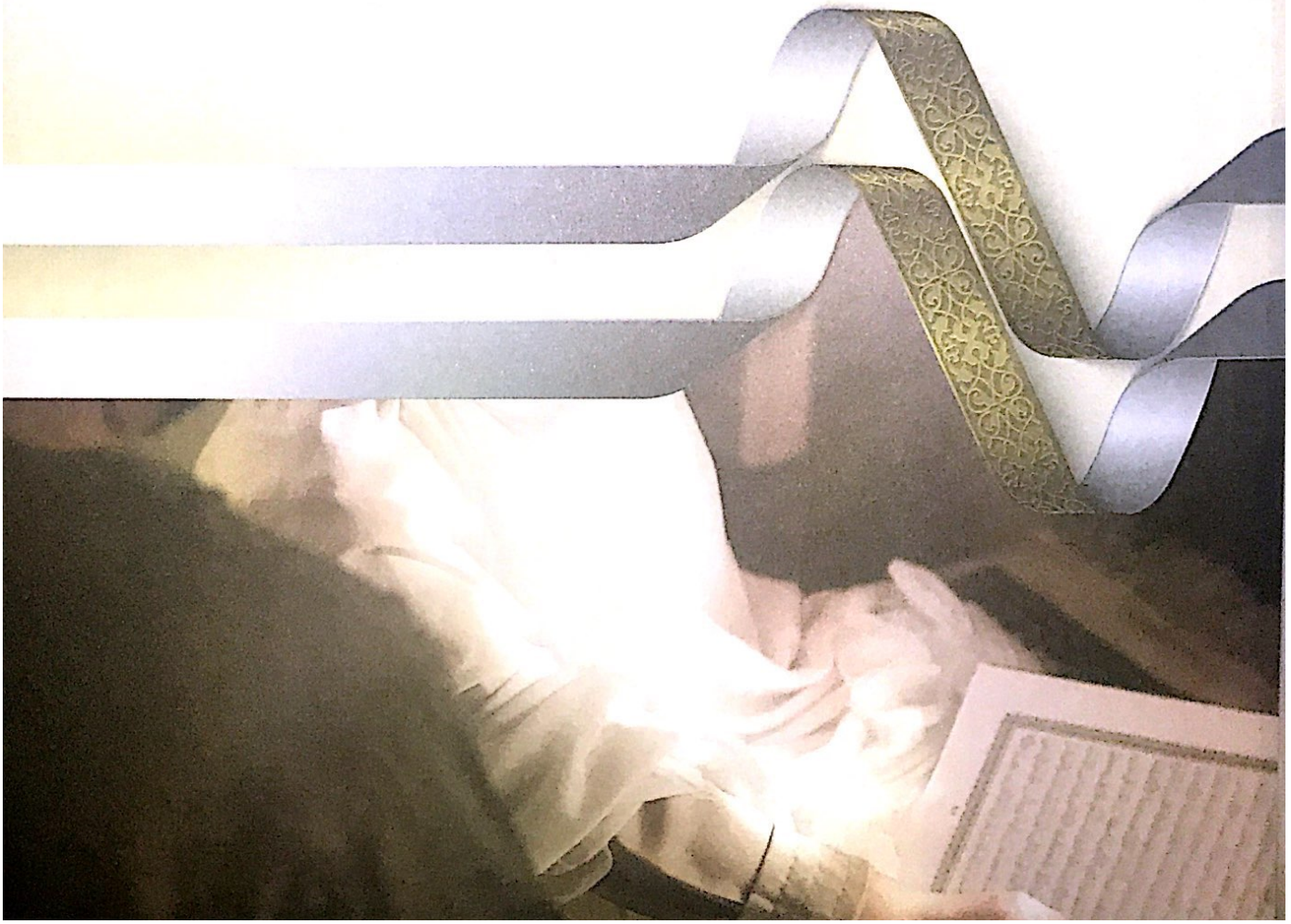

Scanned with CamScanner

الوحدة الثالثة: واجبنا نحو القرآن الكريم

تهدف هذه الوحدة إلى :

١- أن يُعدد واجبات المؤمن نحو القرآن الكريم.

٢ - أن يُبين ما يتضمنه الإيمان بالقرآن.

٣ - أن يُعدد فضائل الاستماع للقرآن الكريم.

٤ - أنّ يُعدد فضائل تلاوة القرآن في القرآن والسنة.

٥ - أن يذكر الأدلة الواردة في الترغيب في حفظ القرآن الكريم وتثبيته.

٦ - أن يُبيّن أهمية تدبر القرآن الكريم.

٧- أن يُبيّن فضائل تعلم القرآن وتعليمه.

٨ - أن يُبيّن أهمية العمل بالقرآن الكريم.

٩- أن يُعدد آداب التعامل مع القرآن الكريم.

١٠- أن يُبين أهمية الدعوة إلى القرآن وبه

Scanned with CamScanner

هذا القرآن العظيم هو دستور حياتنا، ورسالة ربنا إلينا، ويجب علينا تجاهه واجبات عديدة، ومنها:

أولًا- الإيمان والتسليم:

وهو أول الواجبات وأهمها؛ لأنه أصل أصيل في الإيمان، إذ هو جزء من الإيمان بالكتب، فلا يصح إيمان عبدٍ إذا لم يؤمن به.

ويتضمن الإيمان بالقرآن الكريم أمورًا، منها:

- التصديق والإقرار الجازم بأنه كلام الله تعالى.
- التصديق والإقرار الجازم بأنه منزل على نبينا محمد ﷺ.
- التصديق والإقرار الجازم بأنه خاتم الكتب والمهيمن عليها.
- التصديق والإقرار الجازم بأن فيه الهداية والصلاح للناس في دنياهم وأخراهم.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

- التصديق والإقرار الجازم بجميع أخباره، واتباع أوامره واجتناب زواجره.

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ١-٣].

ثانيًا- القراءة والترتيل:

كان رسول الله ﷺ يُكثر من تلاوة القرآن الكريم، فكان يقرؤه في سائر أحواله؛ فينبغي للمؤمن أن يحرص على قراءة القرآن وترتيله.

Scanned with CamScanner

فضائل قراءة القرآن الكريم في نصوص الكتاب والسنة:

وردت فضائل عديدة لتلاوة القرآن في الكتاب والسنة، منها:

١. أن تلاوة القرآن من أبرز دلائل الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[البقرة:١٢١].

٢. أنها استجابة لأمر الله تعالى:

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتلاوة، ومما يدل على عظمة هذا الأمر الرباني، أنه جاء في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، فمن ذلك:

قول الله تعالى: ﴿ورتِّل القرءان ترتيلاً﴾[المزمل:٤].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة:١٢٩].

٣. أن تلاوة القرآن سبب لطمأنينة القلب، وسكينة النفس:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

٤. أنها سبب تنزُّلُ السكينة والرحمة والملائكة وسبب للذكر في الملأ الأعلى:

فقد ورد في فضل الاجتماع لتلاوة القرآن أنَّ النبي ﷺ قال: (وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)[٣٧].

---

(٣٧) صحيح مسلم (٢٦٩٩).

Scanned with CamScanner

٥. علو شرف قارئ القرآن بين الناس في الدنيا:

فقد ذكر النبي ﷺ منازل الناس بالنسبة لقراءة القرآن، فجعل لقارئ القرآن أفضل الأمثال، قال ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ) (٣٨).

٦. رفعة الأجر والمنزلة الأخروية:

فالتلاوة تجارة رابحة عند الله تعالى؛ فقد وعد الله تعالى الذين يتلون كتابه بالمنزلة العظيمة يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠].

وقال الرسول ﷺ: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ) (٣٩).

آداب تلاوة القرآن الكريم

ينبغي للمؤمن أن يتأدب مع القرآن حين تلاوته، ومن هذه الآداب(٤٠):

١. الإخلاص لله سبحانه وتعالى.

٢. الطهارة الحسية: وتشمل طهارة البدن والمكان واللباس.

٣. الطهارة المعنوية: وتشمل تطهير النفس من سائر الأدران الروحية.

٤. تحسين الصوت بالقرآن؛ قال ﷺ: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ(٤١) لِنَبِيٍّ حَسَنِ

---

(٣٨) متفق عليه. صحيح البخاري (٥٠٠٧)، صحيح مسلم (٧٩٧).

(٣٩) سنن الترمذي (٢٩١٠).

(٤٠) للاستزادة ينظر: كتاب: أخلاق حملة القرآن، للإمام محمد بن الحسين أبي بكر الآجري.

(٤١) أذن له: استمع. يُنظر: مختار الصحاح.

Scanned with CamScanner

الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)[٤٢].

٥. الاستعاذة عند ابتداء القراءة؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[النحل:٩٨].

٦. الخشوع والتدبر عند القراءة؛ قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾[ص:٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢].

٧. أن يقف عند آيات الرحمة فيسأل الله من فضله ونعيمه، وأن يقف عند آيات الوعيد فيستعيذ بالله من عقابه؛ فعن عوف بن مالك ﷺ قال: (قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً، فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ)[٤٣].

ثالثًا- الاستماع والإنصات:

إن الاستماع والإنصات لآيات الله تعالى أمره عظيم، إذ قد يستمع الإنسان بوعي لآية واحدة فتكون سبباً لتغيير مجرى حياته.

والاستماع له: هو أن يُلقي سمعَه، ويُحضر قلبَه، ويتدبر ما يسمع.

والإنصات هو: ترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

ولذا كان من هدي النبي ﷺ أنه كان يحب الاستماع إلى القرآن من غيره، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (قال لي رسول الله ﷺ: اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ. قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ! قَالَ: إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)[٤٤].

(٤٢) صحيح البخاري (٢٣٤).
(٤٣) سنن أبي داود (٨٧٣).
(٤٤) صحيح مسلم (٨٠٠).

Scanned with CamScanner

فضائل الاستماع والإنصات للقرآن الكريم:

١. استماع القرآن والإنصات له سبب لرحمة الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

٢. استماع القرآن سبب لهداية الإنس والجن:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء: ٩]. وأخبر سبحانه عن الجن أن سماعهم للقرآن كان سببًا لهدايتهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[الجن: ١-٢].

٣. استماع القرآن سبب لخشوع القلب وبكاء العين:

قال الله تعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[مريم: ٥٨].

٤. استماع القرآن سبب لزيادة الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال: ٢].

٥. استماع القرآن سبب لحصول الذكرى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق: ٣٧].

Scanned with CamScanner

رابعًا- الحفظ والتثبيت:

من سمات هذه الأمة أنّ صدور أولي العلم فيها كانت أوعية تحفظ كلام ربها المنزل عليها.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٩].

الترغيب في حفظ القرآن الكريم:

تنوعت أساليب الشرع المطهر في الترغيب في حفظ الكتاب العزيز في صور عديدة، منها:

١. الوعد الرباني بتيسير الحفظ:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

قال القرطبي في تفسير الآية: «سهلناه للحفظ، وأعنّا عليه من أراد حفظه»[٤٥]، ونقل عن سعيد بن جبير قوله: «ليس من كتب الله كتابٌ يُقرأ كله ظاهراً (أي: عن ظهر قلب) إلا القرآن»[٤٦].

وينقسم الناس في تمكنهم وحفظهم القرآن الكريم على مرتبتين:

المرتبة الأولى: من حفظ القرآن كاملاً:

قال عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ في شأن الحافظ: (مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَقَدْ أُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ إِلّا إِنَّه لا يُوحَى إِلَيْهِ)[٤٧]، وقال أبو أمامة ﷺ: (إِنَّ اللهَ لا يُعَذِّبُ قَلْبًا وَعَى القُرْآنَ)[٤٨].

---

(٤٥) تفسير القرطبي للآية (٢٢) من سورة القمر.
(٤٦) تفسير القرطبي للآية (١٧) من سورة القمر.
(٤٧) الزهد لابن المبارك (٧٨٥).
(٤٨) سنن الدارمي (٣٢٦٠).

Scanned with CamScanner

المرتبة الثانية: من حفظ أجزاءً معينة أو سورًا محددة:

فمن لم يستطع حفظه كاملاً فلا يحرم نفسه من الأجر بحفظ ما تيسر، وخاصةً الآيات والسور التي ورد فيها فضل خاص، ومن أمثلة ذلك:

قوله ﷺ: (إِنَّ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ ثَلاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ سُورَةُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[الملك:١]) (٤٩).

وقوله ﷺ: (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ)، وفي رواية: (مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ) (٥٠).

٢. مكانة حافظ القرآن في الدنيا:

فقد درج المسلمون في مختلف الأعصار والأمصار على إجلال حافظي القرآن الكريم وتبجيلهم، لما ورد في فضلهم من النصوص، منها:

قول النبي ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ) (٥١).

وقد اسْتَعْمَلَ والي مَكَةَ مِنْ قِبَلِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه في زمن خلافته مَوْلًى مِنَ المَوَالِي، فَلَمَّا اسْتَغْرَبَ ذَلِكَ عُمَرُ، قَالَ لَهُ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ سبحانه وتعالى، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ) (٥٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: (كَانَ الرَّجُلُ إِذَا حَفِظَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ جَدَّ فِي أَعْيُنِنَا) (٥٣).

٣. مكانة حافظ القرآن في الآخرة:

قال رسول الله ﷺ: (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا) (٥٤).

---

(٤٩) سنن أبي داود (١٤٠٠).
(٥٠) صحيح مسلم (٨٠٩).
(٥١) سنن ابن ماجه (٢١٥).
(٥٢) صحيح مسلم (٨١٧).
(٥٣) مسند أحمد (١٢٢٣٦).
(٥٤) مسند أحمد (٦٧٩٩).

Scanned with CamScanner

وقال ﷺ: (المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ)[٥٥].

قال النووي: «والماهر: الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه،... وأما الذي يتتعتع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران: أجر بالقراءة، وأجر بتتعتعه في تلاوته ومشقته»[٥٦].

وقال ﷺ عن حافظ القرآن: (يُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا. فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذِهِ؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ)[٥٧].

٤. الترهيب من ترك حفظ القرآن:

جاءت النصوص تحذر من ترك حفظ القرآن الكريم، ومن ذلك:

قول النبي ﷺ: (إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ)[٥٨].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّه كَانَ يَقُولُ: (إِنَّ الْبَيْتَ لَيَتَّسِعُ عَلَى أَهْلِهِ وَتَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَهْجُرُهُ الشَّيَاطِينُ وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ أَنْ يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَإِنَّ الْبَيْتَ لَيَضِيقُ عَلَى أَهْلِهِ وَتَهْجُرُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ وَيَقِلُّ خَيْرُهُ أَنْ لَا يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ)[٥٩].

ونسيان القرآن الكريم بعد حفظه أشدّ ذمًّا؛ لذا حثَّ نبينا محمد ﷺ على تعاهد القرآن ومراجعة حفظه في الصدور حتى لا يضيع أو يتفلت؛: (تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا)[٦٠].

(٥٥) شعب الإيمان، للبيهقي (١٩٨٩).
(٥٦) شرح صحيح مسلم، للنووي (٦/ ٤١١).
(٥٧) مسند أحمد (٢٢٩٥٠).
(٥٨) سنن الدارمي (٣١٧٢).
(٥٩) سنن الدرامي (٣١٧٥).
(٦٠) صحيح البخاري (٥٠٣٣)، وصحيح مسلم (٧٩٢).

Scanned with CamScanner

خامسا: التدبر والتفكر:

من أبرز الواجبات تجاه القرآن الكريم: تدبّرُه والتفكّر في معانيه؛ إذ هو من أهم مقاصد نزوله، قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩].

ومن هنا حثَّ الشرع ورغَّب في تدبر القرآن الكريم، فقال عزَّ من قائل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد:٢٤].

وعاتب سبحانه وتعالى المؤمنين؛ فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[الحديد:١٦].

وبالقراءة المتدبرة للقرآن الكريم تصح العقيدة، ويستقيم السلوك، وتتهذب النفس، وترتقي الأخلاق.

قال النووي: «ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع، فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب»[٦١].

وقال ابن القيم: «لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر»[٦٢].

---

(٦١) الأذكار، للنووي (ص:٩٠).

(٦٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (ص٢٢١).

Scanned with CamScanner

سادسًا- الإقراء والتعليم:

كان النبي ﷺ حريصًا على أن يتعلم الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يُشْغَلُ، فإذا قدم رجلٌ مهاجرٌ على رسول الله ﷺ دفعَهُ إلى رجل منا يُعلِّمُهُ القرآن»(٦٣).

وعلى هذا النهج سار السلف الصالح بعد رسول الله ﷺ إلى عصرنا هذا، فيتعلمون القرآن ممن سبقهم ويعلمونه مَن بعدَهم، حتى وصل إلينا متواترًا.

فضائل تعلّم القرآن الكريم وتعليمه:

وردت في نصوص الشرع لتعلّم القرآن وتعليمه فضائل متعددة، من أهمها:

١. أن مُعلِّم القرآن ومُتعلِّمه متشبهٌ بالملائكة والرسل:

فقد تلقى جبريل عليه السلام القرآن من الله تعالى وعلَّمه النبي ﷺ، وتلقاه النبي ﷺ من جبريل وعلّمه الناس، فكذلك فالمؤمن عندما يتلقى القرآن من معلّمه ويعلمه غيره، يكون قد تشبه بهم، وهذه فضيلة عظيمة للمؤمن.

٢. خير الناس وأفضلُهم من تعلم القرآن وعلمه:

قال النبي ﷺ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)(٦٤).

وتعلم القرآن وتعليمه يتناول تعلُّم حروفه وتعليمها، وتعلُّم معانيه وتعليمها.

٣. تعلُّم القرآن وتعليمه خير من كنوز الدنيا:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ في الصُّفَّةِ، فَقالَ: (أيُّكُمْ يُحِبُّ أنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَومٍ إلى بُطْحَانَ، أوْ إلى العَقِيقِ، فَيَأْتِيَ منه بنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ في غيرِ إثْمٍ، ولَا قَطْعِ رَحِمٍ؟ فَقُلْنَا: يا رَسولَ اللهِ، نُحِبُّ ذلكَ، قالَ: أفلا يَغْدُو أحَدُكُمْ إلى المَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ له مِن نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ له مِن ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ له مِن أَرْبَعٍ، وَمِنْ أعْدَادِهِنَّ مِنَ الإبِلِ)(٦٥).

---

(٦٣) مسند أحمد (٢٢٨١٨).

(٦٤) صحيح البخاري (٥٠٢٧).

(٦٥) صحيح مسلم (٨٠٣).

Scanned with CamScanner

سابعًا- العمل والتخلق بالقرآن الكريم:

يجب على المؤمن العمل بما في القرآن والتخلق به؛ إذ هو ثمرة قراءة القرآن وتدبره، فلا يكفي الاستماع ولا التلاوة ولا التدبر لو كانت بدون عمل، وهذا أصل من أصول الإيمان، فالإيمان تصديق وقول وعمل، وجاءت الآيات صريحة بالأمر بالعمل بما في القرآن، قال تعالى: ﴿وَهَـٰذَا كِتَـابٌ أَنزَلْنَـاهُ مُبَـارَكٌ فَاتَّبِعُـوهُ وَاتَّقُـواْ لَعَلَّكُـمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأنعام:١٥٥]. وعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ قالت: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)[٦٦].

أوجه أهمية العمل بالقرآن:

١. تعظيم المدح والثواب بالعمل بالقرآن:

قال ﷺ: (يُؤْتَى بالقُرْآنِ يَومَ القِيامَةِ وأَهْلِه الَّذِينَ كانُوا يَعْمَلُونَ به تَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ، وآلُ عِمْرانَ، وضَرَبَ لهما رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ ثَلاثَةَ أمْثالٍ ما نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قالَ: كَأَنَّهُما غَمامَتانِ[٦٧]، أوْ ظُلَّتانِ سَوْداوانِ بيْنَهُما شَرْقٌ، أوْ كَأَنَّهُما حِزْقانِ[٦٨] مِن طَيْرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن صاحِبِهِما)[٦٩].

٢. الذم والتحذير من ترك العمل ومخالفة ما جاء به القرآن:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَتَأْمُـرُونَ النَّـاسَ بِالْـبِرِّ وَتَنْسَـوْنَ أَنْفُسَـكُمْ وَأَنْتُـمْ تَتْلُـونَ الْكِتَـابَ أَفَـلا تَعْقِلُـونَ﴾ [البقرة:٤٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:٢].

---

(٦٦) مسند أحمد (٢٥٣٠٢)، وأصله في صحيح مسلم (٧٤٦)

(٦٧) قال أهل اللغة: الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما. قال العلماء: المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين. يُنظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (٦/ ٤١٥).

(٦٨) قطيعان وجماعتان. يُنظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (٦/ ٤١٥).

(٦٩) صحيح مسلم (٨٠٥).

Scanned with CamScanner

وقال تقدست أسماؤه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الجمعة:٥].

٣. جمع المنهج النبوي بين تعليم القرآن والعمل به:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (كَانَ الرَّجُلُ منا إذا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنّ، والْعَمَلَ بِهِنّ)(٧٠).

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وإِنَّ أَحَدَنَا لَيُؤْتَى الإِيْمَانَ قَبْلَ القُرْآنَ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلى محَمّدٍ ﷺ فَنَتَعَلَّمُ حَلالَهَا وَحَرَامَهَا وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوْقَفَ عِنْدَهُ مِنْهَا)(٧١).

ثامنًا- الدعوة إلى القرآن الكريم وبه:

القرآن الكريم هو أصل دين الإسلام ومرجعه، فكل داعٍ إلى دين الإسلام ينبغي عليه أن يتزود بالقرآن ليدعو إليه وبه.

أهمية الدعوة إلى القرآن وبه:

وتظهر أهمية الدعوة إلى القرآن وأهمية الدعوة به فيما يلي:

١. الاستجابة لأمر الله تعالى:

أمر الله تعالى أمة الإسلام بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف، فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:١٠٤]. والقرآن هو أعظم الخير وأعظم المعروف.

---

(٧٠) تفسير الطبري(١/ ٨٠)

(٧١) السنن الكبرى، للبيهقي (٤٨٦٨).

Scanned with CamScanner

٢. الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ:

أمر النبي ﷺ بتبليغ الدعوة ولو بآية من القرآن، قال ﷺ: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)(٧٢).

٣. الدعوة إلى القرآن مهمة الرسول ﷺ:

أشار الحق سبحانه إلى مهمة الرسول ﷺ بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة:٢]. فالمؤمن عندما يدعو إلى القرآن يكون قد سار على منهج رسول الله ﷺ.

٤. الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم:

الداعي إلى القرآن يكون مقتديًا بالصحابة رضوان الله عليهم، فقد فرّغ جماعة من الصحابة أنفسهم للإقراء، وتعليم الناس القرآن في مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام وغيره من مساجد الأمصار.

(٧٢) صحيح البخاري (٣٤٦١).

Scanned with CamScanner

خلاصة الوحدة

القرآن الكريم هو كلام الله الموجه إلينا نحن، وله علينا عدد من الحقوق والواجبات، وهو نور الحياة وروحها.

كلما عشنا مع القرآن الكريم ازددنا حياة وروحانية وعلما وإيمانا، وكلما ابتعدنا عن القرآن الكريم ازددنا مرضا وقسوة وجهلا وفسقا.

Scanned with CamScanner

أنشطة الوحدة

١- ما أبرز المعوقات التي تعوق بعض الناس عن حفظ القرآن الكريم غيباً؟ واذكر أنموذجا قام بحفظ القرآن الكريم وتجاوز العقبات التي كانت تعوقه، سواء كان كبيرا أم صغيرا في السن؟

.....

.....

.....

.....

.....

٢- ما هو مقدار الوقت الذي تعطيه للقرآن الكريم، تلاوة وتدبرا وحفظا؟ وهل يتناسب مع أهمية القرآن الكريم في حياتنا؟ مع مقارنة هذا المقدار بمقدار الوقت الذي كان يعطيه الصحابة رضي الله عنهم للقرآن الكريم؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

Scanned with CamScanner

٤ | الوحدة الرابعة

تدبر القرآن الكريم

Scanned with CamScanner

الوحدة الرابعة: تدبر القرآن الكريم

تهدف هذه الوحدة إلى بيان:

١- أن يعرف معاني التدبر وصفاته.

٢- أن يعرف القواعد الصحيحة لتدبر القرآن الكريم.

٣- أن يعرف الوسائل المعينة على تدبر القرآن الكريم.

٤- أن يستطيع تطبيق التدبر على سورة الفاتحة، كنموذج عملي للتدبر.

Scanned with CamScanner

حقيقة تدبر القرآن الكريم

تعريف التدبر:

التدبر هو: التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلام ومراميه البعيدة.

ومعنى تدبر القرآن الكريم: التفكر والتأمل في آيات القرآن الكريم من أجل فهمه وإدراك معانيه، ومعرفة شرائعه وأحكامه، واليقين بها، والخضوع لها، وأخذ العبرة منها.

صفة التدبر:

ذكر الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ صفة التدبر فقال: «أن يشغل قلبَه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك؛ فإن كان مما قصَّر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرَّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذابٍ أشفق وتعوَّذ، أو تنزيه نزَّه وعظَّم، أو دعاءٍ تضرَّع وطلب»[٧٣].

القدر الذي يحصل فيه التدبر:

لا حدَّ لأقل ولا لأكثر ما يكون فيه التدبر من آيات القرآن الكريم، فإنَّ التدبر قد يحصل في كلمة واحدة، أو آية واحدة، أو آيات، وقد يكون بين نهاية سورة وبداية سورة، وقد يكون في سورة كاملة، وهو رزق وفتح من الله تعالى، يختلف فيه حال إنسان وآخر، بل يختلف حال الإنسان فيه بين حينٍ وآخر.

---

(٧٣) انظر: الإتقان للسيوطي (١/٣٣٣).

Scanned with CamScanner

مفردات لها صلة بالتدبر:

يتداخل مصطلح التدبر ويتقاطع مع كثير من المصطلحات، ونشير فيما يلي إلى أبرزها:

١. التفسير:

وهو من الفَسْرِ وهو: الكشف والبيان، ولذلك سمي بيان كتاب الله تفسيرًا؛ لأنه يكشف عن معانيه اللغوية والسياقية والشرعية باستعمال قواعد التفسير المعروفة عند أهله.

٢. إثارة النظر:

وهو مناقشة الأمر ومدارسته والبحث فيه وتقليب وجوهه ومراجعة النظر فيه، وهو من المصطلحات التي أطلقها الإمام الحبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ، وذلك بما جاء بإسناد صحيح، قَالَ: (إِذَا أَرَدْتُمُ الْعِلْمَ؛ فَأَثِيرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّ فِيهِ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»(٧٤).

٣. التفكر:

وهو إعمال النظر في الشيء للوصول إلى معناه وكنهه وحقيقته، وكثيرًا ما يستخدم القرآن الكريم هذا المصطلح فيما يتعلق بالآيات الكونية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

٤. التذكر:

وهو من الذكر ضد النسيان، وهو استحضار صورة المذكور في القلب، وكثيرًا ما يرد هذا المصطلح في القرآن، ومنه: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ١٧].

---

(٧٤) الزهد، لابن المبارك (٨١٤).

Scanned with CamScanner

٥. الاعتبار:

وهو من العبور وهو التجاوز من حال إلى حال، والاعتبار يتوصل به من معرفة المُشاهد إلى ما ليس بمشاهد، ومنه قوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[النور:٤٤].

أهمية تدبر القرآن الكريم

تظهر أهمية تدبر القرآن الكريم من عدة وجوه، منها:

١. التدبر هو من أهم مقاصد وغايات نزول القرآن:

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[ص:٢٩].

٢. القراءة بالتدبر مقدمة على كثرة التلاوة بدون تدبر:

وهو مبني على الوجه السابق؛ لأنَّ التلاوة بالتدبر والفهم هي المقصود الأعظم والمطلوب الأهم.

قواعد في تدبر القرآن الكريم

١. التدبر يقع في المعلوم:

إن تدبر القرآن يكون بالتفكر والتأمل فيما يُدرك بالعقل البشري وما يقع في حدود إدراكه، أما ما وراء ذلك من أمور الغيبيات فهي خارج نطاق العقل، والواجب التسليم بها كما وردت في القرآن الكريم وفي ما صح عن النبي ﷺ.

٢. ترتيل القرآن بتؤدة وتأنٍّ:

وهو من وسائل تدبّر القرآن واستشعار معانيه وخشوع القلب، قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]، وهو مما يؤثر في وجدان القارئ، ويلفت انتباه السامع، ويزيد

Scanned with CamScanner

من إقباله على القرآن والتفكر في معانيه.

وقد جاءت النصوص عن السلف رحمهم الله تؤكد أهمية ذلك، منها:

أنه جاء رجل إلى عبدالله بن مسعود ﷺ فقال له: «قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ اللَّيْلَةَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ: هَذًّا مِثْلَ هَذِّ الشِّعْرِ، أَوْ نَثْرًا مِثْلَ نَثْرِ الدَّقَلِ؟ إِنَّمَا فُصِّلَ لِتُفَصَّلُوا» (٧٥).

وجاء عنه أيضا ﷺ: أنه قال: «لاَ تَهُذُّوا الْقُرْآنَ كَهَذِّ الشِّعْرِ، وَلاَ تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ» (٧٦).

٣. معرفة قواعد اللغة العربية ودلالات ألفاظها:

ذلك أنَّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف:٢].

فكلما كان القارئ أمكن في لغة العرب كان أقدرَ على التدبر، ولايصحُّ تأويل آيات القرآن الكريم بما يخالف هذه القواعد والدلالات.

٤. العمل بما في القرآن من أحكام:

بين العمل بالقرآن والتدبر علاقة طردية، فكلما عمل الإنسان بما وصل إليه من خلال تدبره للقرآن أفاده ذلك بأنْ يزداد تدبره، فإنَّ تقوى الله -بفعل الأوامر واجتناب المعاصي- هو ثمرة التدبر في كتاب الله، وقد وعد الله المتقين بزيادة العلم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[البقرة:٢٨٢].

٥. البعد عن الذنوب والمعاصي والإكثار من الاستغفار:

فالذنوب من صوارف التدبر إذ السيئات تغطي القلوب بالصدأ، وتكوِّن ما يسمى بالرَّان عليها، فيصعب عليها تدبر القرآن، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤].

قال الزركشي رحمه الله: «واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا

---

(٧٥) مسند أحمد (٣٩٥٨).

(٧٦) مصنف ابن أبي شيبة (٨٨٢٥).

Scanned with CamScanner

يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفى قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر، أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان»[٧٧].

فالواجب على من رام تدبر القرآن أن يكثر من الاستغفار ليجلو الران عن قلبه، فينفتح القلب والذهن للتدبر والفهم.

٦. تخصيص ورد قرآني للتدبر:

مما يعين على تدبر القرآن الكريم أن يجعل القارئُ قدراً من تلاوته اليومية خاصاً بالتدبر، يُتمّ قراءته بعيدًا عن مشتتات الذهن.

٧. معرفة تفسير القرآن الكريم:

إن القراءة المستمرة في كتب التفسير الموثوقة والمداومة على حضور مجالس الثقات من العلماء في تفسير القرآن وبيانه والاستماع لهم من أهم ما يُعين القارئ على تدبّر القرآن؛ لما في ذلك من التعليم والتذكير والإعانة على فهم المعاني الصحيحة الموصلة إلى التدبر الصحيح.

٨. الحرص على تكرار التلاوة:

والمراد تكرار بعض الآيات التي يستشعرُ القارئ الخشوع عند تلاوتها، ويستحضر عظمة معانيها.

وقد قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ، يُرَدِّدُهَا،[٧٨] وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة:١١٨].

٩. الاستشعار بتوجّه الخطاب القرآني للقارئ:

ينبغي لكل قارئ للقرآن أن يُقَدِّر أنه المقصود بكل خطاب فيه، فإن سمع أمراً أو نهياً قدَّر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعداً أو وعيداً لفئة من الناس عرَض نفسه على حالهم وصفاتهم حتى ينتفع بمواعظ القرآن.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: « إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْمُحَدَّثَ فَافْعَلْ». وقال:

---

(٧٧) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ١٨٠).

(٧٨) مسند أحمد (٢١٣٨٨)، سنن النسائي (١٠١٠)

Scanned with CamScanner

«إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] فَأَرْعِهَا سَمْعَكَ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ يُؤْمَرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ يُنْهَى عَنْهُ»[٧٩].

١٠. الإكثار من اللجوء إلى الله بالدعاء:

أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بأن يسأل الله تعالى ويدعوه بأن يزيده علمًا، قال الله تعالى: ﴿وقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]. وتدبر القرآن من أشرف العلوم وأجلّها لتعلقها بكلام الله تعالى، فمن أراد أن يزداد فهمًا وتدبرًا للقرآن فلابد أن يلتجئ إلى الله تعالى، ويسأله العون والتوفيق، وليتذكر أن الله تعالى هو مصدر كل علم يتعلمه.

(٧٩) الزهد، للإمام أحمد (٨٧١).

Scanned with CamScanner

أمثلة لتدبر القرآن الكريم

الأمثلة الواردة في تدبر كتاب الله كثيرة، منها ما يلي:

أولًا- تدبر النبي ﷺ:

١ - سَأَلَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عائشةَ رضي الله عنها، قَالَ: "أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ!" قَالَ: فَسَكَتَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: "لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ ﷺ: (يَا عَائِشَةُ! ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي!، قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ! قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ! قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الأَرْضَ! فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟ لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا! ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١]) [٨٠].

٢ -روى أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل، قام فقال: يا أيها الناس، اذكروا الله! جاءت ﴿الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات:٦-٧]. جاء الموت بما فيه! جاء الموت بما فيه!) [٨١].

ولا يخفى ما في الحديث من تضمين لآيتي النازعات: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦-٧] وما في ذلك من تدبر عجيب لهذه الحقيقة الإيمانية في جوف الليل؛ وذلك لشَبَه الليل بظلمة القبر من جهة، ولأن الليل -من جهة أخرى- هو موتٌ لحركة النهار! وفي ذلك أيضًا إشارة إلى أن على المؤمن أن يجعل تفكره في الظواهر الكونية مرتبطًا بتدبره للآيات القرآنية.

---

(٨٠) صحيح ابن حبان (٦٢٠).

(٨١) سنن الترمذي (ح ٢٤٥٧).

Scanned with CamScanner

ثانيًا- تدبر السلف الصالح رضي الله عنهم:

١. قال ابن أبي مليكة رحمه الله: "صَحِبْتُ ابنَ عباس رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل قام شَطْرَ الليل! فَسُئِلَ: "كيف كانت قِرَاءَتُهُ؟" قال: "قرأ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق:١٩] فجَعلَ يُرَتِّلُ ويُكَثِّرُ في ذلك النَّشِيجَ!" (٨٢).

٢. جاء في تفسير الطبري: "أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قرأ هذه الآية: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٤]، قال: ألم تر إلى الرأس المُشَيَّطِ بالنار، وقد قَلَصَتْ شفتاه وبدت أسنانُه!" (٨٣).

وهذا تدبر عجيب؛ لما فيه من ربطٍ للآيات القرآنية بالمشاهَدات اليومية في الحياة الدنيا رغم عِظَم الفرق.

٣. أن مالكًا بنَ دينار قرأ هذه الآية: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ [الحشر:٢١] فبكى، وقال: «أقسم لكم! لا يؤمن عبدٌ بهذا القرآن إلا صدع قلبَه!» (٨٤).

٤. جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]، قال الإمام القرطبي: «وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول: يا ويلتاه..! ضَجُّوا إلى الله تعالى من الصغائر قبل الكبائر!» (٨٥).

(٨٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: (٣/٣٤٢). والنَّشِيجُ: شدة البكاء، إذا هاج على صاحبه؛ فبكى بصوت مخنوق في صدره، فصار له أَزِيزٌ كأزيزِ القِدْرِ أو المِرْجَلِ.

(٨٣) تفسير الطبري للآية: ١٠٤ من سورة المؤمنون.

(٨٤) الزهد، للإمام أحمد (١٨٧٨).

(٨٥) تفسير القرطبي للآية (٤٩) من سورة الكهف.

Scanned with CamScanner

نموذج تطبيقي للتدبر (تدبر سورة الفاتحة)

أولًا- قراءة السورة:

قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾[سورة الفاتحة:١-٧].

ثانيًا- قراءة المعنى الإجمالي المختصر للسورة:

اهتم المفسرون بتفسير سورة الفاتحة اهتمامًا بالغًا، بلغ في بعض كتبهم عشرات الصفحات، على الرغم من قصرها، فهي سبعُ آيات قد حوت معاني عظيمة.

ويمكن قراءة تفسير معانيها باختصار في تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، أو تفسير السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثالثًا- إثارة أسئلة على الذهن للمساعدة في التدبر:

وذلك بأنْ يثير المتدبر في نفسه عند قراءة الآيات بعض الأسئلة التي تساعده على التدبر، ومن أمثلة ذلك:

١. لماذا كانت الفاتحة أول سورة في ترتيب المصحف؟

٢. ما معنى الحمد لله؟ وما أهميته؟

٣. لماذا خصَّ بالذكر هاتين الصفتين(الرحمن) و (الرحيم) وما الفرق بينهما؟

٤. ما دلالة قوله تعالى (إياك نعبد)؟

٥. ما دلالة قوله تعالى (وإياك نستعين)، وما دلالتها وما قبلها على توحيد الألوهية؟

٦. ما هي الدلالات والإشارات من قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) ؟

٧. من هم المعنيون في قوله تعالى: (صراط الذين أنعمت عليهم)؟

٨. من هم المعنيون في قوله تعالى: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)؟

Scanned with CamScanner

رابعًا- ومضات في تدبر سورة الفاتحة:

من خلال الإجابة على بعض الأسئلة المثارة، وقراءة التفسير المختصر للسورة يتحصل للمتدبِّر هداياتٌ عظيمة، فإنَّ «فاتحة الكتاب» قد حَوَتْ من الأسرار والعلوم العظيمة، التي لو فُتح على العبد أقلّ القليل منها، لانصبَّت عليه ينابيع العلم صبًّا. ومن تدبَّرها حقَّ التدبُّر، فتحتْ له جميع مراتب الهداية، كلٌّ على حسب إيمانه.

١. سبب تسميتها بالفاتحة:

لأنَّها أول سورة في ترتيب كتابة المصحف، ولأنَّ الصلاة تفتتح بها، ولا شك أنَّ القرآن العظيم هو دستور هذه الأمة، والفاتحة فيها إجمال لما في هذا الدستور العظيم ومقدمة له؛ فإنَّ «فاتحة الكتاب» ترسم للمرء الغاية من حياته، وتُرشده إلى وسيلة تحقيقها، وقد اشتملت على أصول الدين وفروعه، ولزوم الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، والتوجه إلى الله تعالى بطلب الهداية منه إلى الطريق المستقيم، وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين.

٢. أسماء سورة الفاتحة:

لسورة الفاتحة أسماء عديدة: فقد ورد فيها أكثر من عشرين اسمًا[٨٦]، تدل على ما تختصه هذه السورة من الفضائل، وعلى عظيم شرفها، فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى، ومن هذه الأسماء:

أم الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، وفاتحة الكتاب، وفاتحة القرآن، والحمد، والفاتحة، والوافية، والكافية، والكنز، والشافية.

٣. فضل سورة الفاتحة:

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه قَالَ كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي قَالَ: (أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾)، ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟) فَأَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ قُلْتَ لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ)[٨٧].

---

(٨٦) الإتقان، للسيوطي (١/١٦٧).

(٨٧) صحيح البخاري (٤٤٧٤).

Scanned with CamScanner

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بَيْنَما جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، سَمِعَ نَقِيضًا مِن فَوْقِه، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقالَ: هذا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليومَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إلَّا اليَومَ، فَنَزَلَ منه مَلَكٌ، فَقالَ: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إلَّا اليَومَ، فَسَلَّمَ، وَقالَ: أَبْشِرْ بنُورَيْنِ أُوتِيتَهُما لَمْ يُؤْتَهُما نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بحَرْفٍ منهما إلَّا أُعْطِيتَه.)[٨٨].

٤. الفاتحة ركن من أركان الصلاة:

لا تصح الصلاة إلا بقراءة سورة الفاتحة، فقد قال النبي ﷺ: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)[٨٩]، فالمسلم يكرر قراءة هذه السورة في كل يوم وليلة.

٥. أقسام سورة الفاتحة:

تنقسم سورة الفاتحة إلى قسمين رئيسين كما ورد في الحديث القدسي:

قال الله تعالى: (قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)[٩٠].

٦. ابتداء سورة الفاتحة بالحمد:

افتتحت سورة الفاتحة بحمد الله تعالى تأكيدًا على أن الحمد له وحده جلّت عظمته، وأنه وحده المختص بالألوهية والربوبية.

وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تفيد أنه لا مستحق لجميع أنواع المحامد إلا الله وحده لا شريك له ولا مستوجب لها إلا هو جل شأنه، وأن الحمد لا يثبت إلا له عزّ وجلّ، فله الحمد

---

(٨٨) صحيح مسلم (٨٠٦).
(٨٩) متفق عليه. صحيح البخاري (٧٥٦)، صحيح مسلم (٣٩٤)
(٩٠) صحيح مسلم (٣٥٩).

Scanned with CamScanner

ابتداء وله الحمد انتهاء، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠].

٧. أسماء الله وصفاته التي ذكرتها السورة، وأهميتها:

ذكر الله تعالى خمسةً من أسمائه وصفاته توجب في قلب المؤمن حَمده سبحانه وحبه، وهذه الأسماء هي: (الله - رب العالمين - الرحمن - الرحيم - مالك يوم الدين)

فيحمده سبحانه بألوهيَّته وربوبيَّته، ورحمانيَّته ومُلكه، فهذه الصفات في اتِّساعها وشمولها وكمالها تجمعُ تحتها صفات الجلال والكمال والجمال التي تدل عليها بَقيَّة أسماء الله، فمن تدبَّر معانيها، فُتحتْ له أبواب الهداية والعلم بمولاه.

٨. تحقيق توحيد الألوهية في اسم الله الأعظم (الله):

وهو اسم الله الدالُّ على ذاته، وهو جامعٌ لمعاني أسماء الله الحسنى كلها، ومُتضمِّن لكمال الجلال والجمال، ولو تفكَّر قلبُ العبد في المعاني الجليلة لاسم (الله)، لأوجبتْ له السكون إلى مولاه، واللجوء إليه، وتدبُّر أسمائه وصفاته، والنظر في عظيم مخلوقاته، وتكاد القلوب المؤمنة أن تتفتتَ من فرط محبَّتها له، وتعلُّقها به؛ مما يثمر أُنس هذه القلوب به وحدَه دون مَن سِواه، والخضوعَ وغايةَ الذل له.

٩. تحقيق توحيد الربوبية في قوله تعالى: (رب العالمين):

"الربُّ" هو السيد، ويدل اسمُ الربِّ على تربية الخلق، وعلى إصلاحه لأمور عباده.

و"العالمين": جميع المخلوقات، واختصاص هذا الجمع بلفظ العالمين؛ لاشتماله على العقلاء والجمادات.

وتربيته تعالى لخَلْقه نوعان؛ عامة وخاصَّة:

فالعامة: هي خَلْقُه للمخلوقين ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربِّيهم بالإيمان، ويوفِّقهم له، ويكمله لهم.

١٠. معنى الاسمين: (الرحمن) و (الرحيم) والفرق بينهما:

دلّ هذان الاسمان من أسماء الله الحسنى على صفات الإحسان والجود، والبر والحنان، والمنَّة والرأفة واللُّطف، وجميعها من مقتضيات ربوبيته سبحانه وتعالى، وإصلاحه أمورَ عباده، وقدَّم صفة (الرحمن)؛ لأنها أعمُّ وأشمل.

Scanned with CamScanner

و(الرحمن) من الأسماء التي خصَّ الله بها نفسه، وهي تدلُّ على رحمته الواسعة العامة لجميع الخلائق.

و(الرحيم) الراحم لعباده المؤمنين؛ فهي الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين حين هداهم ووفقهم للإيمان به ولعبادته.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هما اسمان رقيقان؛ أحدهما أرقُّ من الآخر، فالرحمنُ خاصُّ الاسم، عامُّ المعنى، والرحيم عامُّ الاسم خاصُّ المعنى؛[٩١] فلأنه الرحمن رزقَ الجميع ما فيه راحة ظواهرهم، ولأنه الرحيم وفَّق المؤمنين لما به حياة سرائرهم".

١١. من هدايات قوله تعالى: (مالك يوم الدين):

(يوم الدين) هو يوم القيامة، وسُمِّي بذلك؛ لأنه يوم الجزاء بالعدل ويوم القهر، وهو يوم لا تنفع فيه إلا الطاعة، وخصَّه بالملك لتفرُّده سبحانه فيه بالحُكم، وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهنَّ بيده اليُمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون؟ أين المتكبِّرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون؟ أين المتكبرون؟)[٩٢].

١٢. من هدايات قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين):

هذه الآية كما وصفها الله تعالى في الحديث القدسي: (هذا بيني وبين عبدي)، وفيها إقرار بالعبودية والافتقار إلى الله تعالى.

وحقيقةُ العبادة هي غاية الحبِّ مع غاية الذلِّ والخضوع.

وحقيقةُ الاستعانة هي الثقة بالله والاعتماد عليه.

ومَنشأ ذلك معرفة القلب بمولاه، وأنه سبحانه المتفرِّد بالخَلق والتدبير، والضُّر والنفْع، والعطاء والمنع، وأنَّه ما شاءَه كان -وإنْ لم يشأ الناس-، وما لم يشأْ لم يكنْ -وإنْ شاءَه الناس-، فلا يعتمد إلا عليه ولا يُفوِّض أمرَه إلا إليه، ولا يطمئن قلبُه إلا به.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

---

(٩١) تفسير البغوي (١/٥١).

(٩٢) صحيح مسلم (٢٧٨٨).

Scanned with CamScanner

١٣. من هدايات قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم):

الهداية: الدَلالة بلُطف، ولذلك تستعمل في الخير.

وهي نوعان: هداية بيان وإرشاد، وهداية توفيق.

فمن اهتدى بالبيان والإرشاد إلى معرفة الحقِّ، واهتدى بتوفيق الله إلى العمل والثبات، وتمَّت له هدايته بأنْ يُهدى إلى تقصيره وذنبه ليتوبَ منه، كان ممن يهديهم ربُّهم إلى منازلهم في الجنة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

والعبد أحوجُ ما يكون إلى هداية الله ليعلمَ الحقَّ ويدركَه، ويعمل به ويثبت عليه؛ لذا أرشدنا ربنا تبارك وتعالى إلى أن ندعوه بالهداية.

١٤. معنى (الصراط المستقيم):

الصراط في اللغة: الطريق الجامع لخمسة أوصاف؛ وهي أن يكون: (مستقيمًا، سهلاً، مسلوكًا، واسعًا، مُوصلاً إلى المقصود).

وهكذا صراط ربِّك لا ترى فيه اعوجاجًا ولا عنَتًا ولا مشقة، يسلكه الصالحون، ويتسع لكلِّ مَن أرادَ لزومَه، ومَن صَبَرَ عليه وصَلَ إلى مقصوده مِن رضا الله والجنة.

فالصراط المستقيم: ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، وليس للبدعة عليه سلطان ولا إليه سبيل.

ومن التزم صراطَ الله في الدنيا جازَ الصراط في الآخرة، ومَن علقتْ كلاليب الدنيا والهوى بقلبه، خطفتْه كلاليبُ جهنَّم من على طرفي الصراط، نسألُ الله الهداية إلى صراطه المستقيم؛ إرشادًا وتوفيقًا.

١٥. أقسام الناس بالنسبة للهداية:

أشارت آيات سورة الفاتحة إلى أقسام الناس بالنسبة للهداية، وهم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عالمٌ بالحقِّ عاملٌ به، زكَّى نفسَه بالعلم النافع والعمل الصالح، فكان من المفلحين؛ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]، فهذا من المنعَم عليهم، وقد ورد

Scanned with CamScanner

هذا القسم في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٧].

وأَوْلَى الناس بهذه النسبة والوصْف من قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

ولذلك ندعو في دعاء القنوت: «اللهم اهدني فيمن هديتَ»؛ أي: أدخلني في هذه الزمرة، واجعلني رفيقًا لهم ومعهم، فهو توسُّلٌ إلى الله بنعمه وإحسانه؛ أي: كما أنعمتَ بالهداية عليهم، فاجعلْ لنا نصيبًا من هذه النعمة، واجعلنا واحدًا من هؤلاء المنعَم عليهم، وتصدَّق علينا في جملة مَن تصدَّقتَ عليهم، وعَلِّمْنَا في جملة مَن عَلَّمْتَهم، وأحْسِنْ إلينا في جملة مَن شملتَهم بإحسانك.

فالهداية إلى هذا الصراط هي أعظمُ ما أنعَمَ الله به على أحد؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧].

القسم الثاني: عالمٌ بالحقِّ متبِعٌ لهواه، فهذا من المغضوب عليهم، وقد أشار إليه قول الله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

وأحق مَن وُصِفَ بذلك اليهود؛ قال تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]، ومثلهم كل مَن سار خلف هواه، وخَالَفَ ما يعلمه من الحقِّ؛ كما قال ﷺ: (مَن اقتطع مالَ امرئٍ مسلم بيمين كاذبة، لَقِي الله وهو عليه غضبان)؛ متفقٌ عليه.

Scanned with CamScanner

القسم الثالث: جاهلٌ بالحقِّ، فهذا من أهل الضلال، وقد أشار إليه قول الله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[الفاتحة: ٧].

وأحقُّ مَن يوُصفَ بذلك النصارى؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، ومن حديث عَدي بن حاتم - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (فَإِنَّ اليَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ النَّصَارَى ضُلَّالٌ)[٩٣].

١٦. مشروعية الاستشفاء بسورة الفاتحة:

ذكرنا في خصائص القرآن أنَّ الله تعالى جعل القرآن الكريم شفاءً ورحمةً للمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[الإسراء:٨٢].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وهذا الشفاء شامل لأمراض الروح والبدن.

وقد وردت مشروعية الاستشفاء بسورة الفاتحة، في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: (أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، وَلاَ نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ القُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ، فَبَرَأَ فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لاَ نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ).[٩٤]

(٩٣) سنن الترمذي (٢٩٥٣).
(٩٤) صحيح البخاري (٥٧٣٦).

Scanned with CamScanner

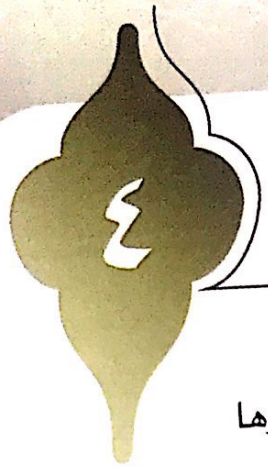

خلاصة الوحدة

لقد عـاب الله على من لا يعقـل معـاني القرآن الكريم ولا يتدبرها ولا يفهمها، ووصفه بالحمار يحمل أسفارا.

فتدبر القرآن الكريم هو أهم مقاصد نزول القرآن الكريم، وهو الوسيلة للعمل به.

Scanned with CamScanner

أنشطة الوحدة

١- ما هي أبرز المعوقات التي تعوقنا عن تدبر القرآن الكريم؟ واذكر حالة مرت بك تدبرت فيها القرآن الكريم؟ وما هي أسباب تدبرك؟

٢- ابتعد عن وسائل التواصل لمدة نصف ساعة، وقم بقراءة صفحات من القرآن الكريم قراءة مرتلة متأنية، وتفكر في الآيات التي قرأتها.. شارك أبرز الفوائد التدبرية مع زملائك.

Scanned with CamScanner

القسم الثاني ٢

السُّنــة النبــوية

ويشمل:

الوحدة الأولى: مدخل إلى السنة النبوية.

الوحدة الثانية: حفظ السُّنة النبوية وتدوينها.

الوحدة الثالثة: واجبنا نحو السُّنة النبوية.

الوحدة الرابعة: نماذج من السُّنة النبوية.

Scanned with CamScanner

١ | الوحدة الأولى

مدخل إلى السنة النبوية

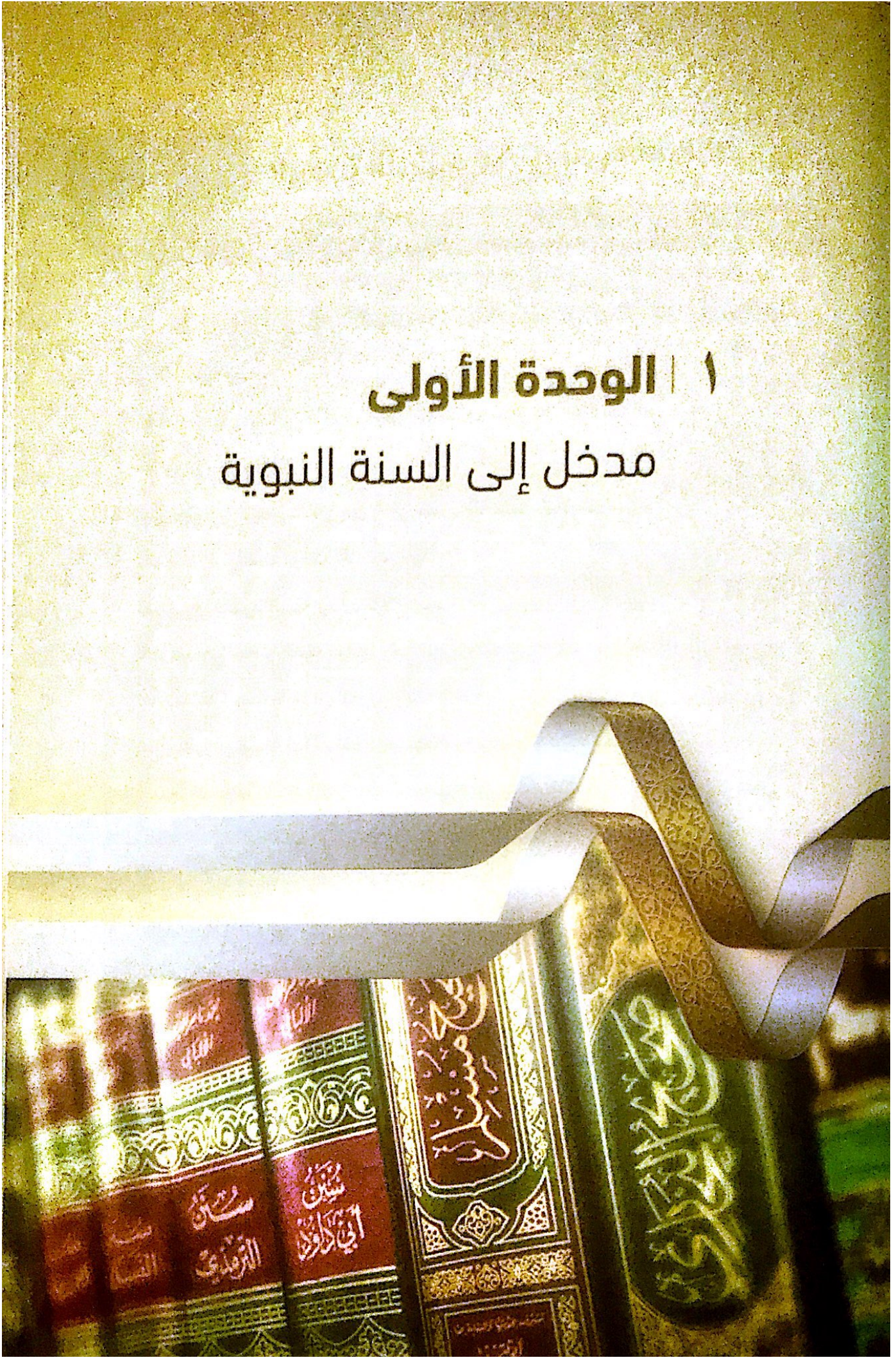

Scanned with CamScanner

الوحدة الأولى: مدخل إلى السنة النبوية

تهدف هذه الوحدة إلى بيان:

١- معرفة منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم عند ربه من خلال الفضائل التي حباه بها صلى الله عليه وسلم.

٢- الإلمام ببعض فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم في الدنيا بأدلتها.

٣- الإلمام ببعض فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم في الآخرة بأدلتها.

٤- بيان وتوضيح بعض دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لمن حولك.

٥- تفهم المراد بالسنة، ومفردات تعريفها.

٦- تفرّق بين مفهوم السنة في اصطلاح علماء الحديث والفقه والأصول.

٧- تتعرف على حجية السنة، وأنها وحيٌ إلهي، والمصدر الثاني من مصادر التشريع.

٨- تُلمّ بعلاقة السنة بالقرآن الكريم وأدلة ذلك؟

٩- تدلّل على أن السنّة لها استقلاليتها في التشريع مع بعض الأحكام.

١٠- يتبين لك مدى حفظ الله تعالى لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وتسخير الله تعالى الصحابةَ رضي الله عنهم ومن بعدهم للمحافظة عليها وجهودهم التي بذلوها لأجل ذلك.

١١- تتيقن عِظَم الجهود التي بذلها سلفنا الصالح منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم فما بّعده من القرون في تدوين السنة وتوثيقها.

١٢- تُعرّف ببعض الصحف التي كُتبت في عهده وبعده صلى الله عليه وسلم.

Scanned with CamScanner

الرسول ﷺ هو صاحب السنة والمتكلم بها، ولقد اختصه الله تعالى بخصائص وفضائل كثيرة وعديدة، وحاز على تفضيل الله تعالى له على جميع الخلائق، وذلك بنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، والفضائل والخصائص التي فضله الله تعالى منها ما هو في الدنيا ومنها ما هو في الآخرة، وهو ﷺ لها أهلٌ وبها جديرٌ. فجدير بالمسلم معرفتها والوقوف عندها والتعرف عليها؛ ليزيد تعظيمه في قلوبنا ومحبته في نفوسنا، فنقتدي به ونتأسى به في جميع شؤون حياتنا، لننال محبة الله تعالى ومغفرته، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

أولا- فضائل الرسول ﷺ:

أ - فضائل الرسول ﷺ في الدنيا:

فضّل الله تعالى رسوله ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام بفضائل في الدنيا كثيرة، منها ما يلي:

١) عموم رسالة النبي ﷺ إلى الناس كافة:

جعل الله تعالى رسالة نبيه محمد ﷺ إلى الناس كافة، ولم يبعث في قومه خاصة كما هو حال بقية الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، قال ﷺ: (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)[٩٤].

٢) أن النبي ﷺ خاتم النبيين والمرسلين:

ختم الله تعالى بنبيه محمد ﷺ الأنبياء، فلا نبي بعده ﷺ، وختم برسالته الرسالات، وشريعته ناسخة لجميع الشرائع السابقة، قال تعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[الأحزاب:٤٠]، وقال رسول الله ﷺ: (إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة؟ قال:فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين)[٩٥].

---

(٩٤) صحيح البخاري (٣٣٥).

(٩٥) صحيح البخاري (٣٥٣٥).

Scanned with CamScanner

٣) تقديم اسم النبي ﷺ بالذكر في القرآن الكريم على سائر الأنبياء:

قدّم الله تعالى نبيه ﷺ في ذكر الوحي على سائر الأنبياء مع تأخر زمانه ﷺ عنهم عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾[النساء:١٦٣]، وكذا قدّمه في أخذ الميثاق والعهد وعلى أولي العزم قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾[الأحزاب:٧].

٤) مناداة الله تعالى للنبي ﷺ في القرآن الكريم بوصف الرسالة والنبوة:

لم يرد في القرآن الكريم مناداة النبي ﷺ باسمه مجرداً عن الوصف، قال الله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾[المائدة:٤١،٦٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤،٦٥، ٧٠، التوبة:٧٣، الأحزاب:١،٢٨، ٤٥، ٥٠، ٥٩، الممتحنة:١٢، الطلاق:١، التحريم:١،٩].

وهذا بخلاف ما كان مع سائر الرسل والأنبياء المذكورين في القرآن الكريم؛ حيث ورد نداؤهم بأسمائهم، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، وقوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ [هود:٤٨]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾[الصافات:١٠٤].

وإذا كان هذا نداء الله تعالى له بوصف النبوة والرسالة، ولم يناده باسمه مجرداً، فالناس من باب أولى، ولذلك نهى الله تعالى عن ندائه باسمه مجرّدًا فقال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾[النور:٦٣]، أي: لا تجعلوا دعاءكم للرسول ﷺ كدعاء بعضكم بعضاً، فلا تقولوا: "يا محمد" عند ندائكم، أو "يا محمد بن عبدالله" كما يقول ذلك بعضكم لبعض، بل من شرفه وتميزه ﷺ عن غيره أن يُقال: يارسول الله، يا نبي الله [٩٦].

٥) رفع ذكر النبي ﷺ:

رفع الله ذكر النبي ﷺ وأعلاه، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾[الشرح:٤] أي: أعلينا قدرك وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا

(٩٦) يُنظر: تفسير السعدي (ص٦٠٧).

Scanned with CamScanner

يُذكر الله تعالى إلا ذكر معه رسول الله ﷺ، كما في النطق بالشهادتين للدخول في الاسلام، وفي الأذان والإقامة، والخطب وغير ذلك [٩٧].

٦) صلاة الله تعالى وملائكته على النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]. قال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء، قال ابن عباس رضي الله عنهما يصلون: يبرّكون [٩٨].

قال ابن كثير: المقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا [٩٩].

٧) نصر الله تعالى للنبي ﷺ بالرعب في قلوب أعدائه:

الرعب هو الخوف والفزع[١٠٠]، يقذفه الله سبحانه في قلوب أعدائه ولو كان بينهم وبينه مسيرة شهر.

٨) أن الله تعالى جعل للنبي ﷺ ولأمته الأرض كلها مسجداً وطهوراً:

جعل الله الأرض للنبي ﷺ وأمته مسجدًا وطهورًا يصلون حيث أدركتهم الصلاة، إلا ما نهى الشرع عن الصلاة فيه من الأماكن[١٠١]، بخلاف ما في شرائع الأمم السابقة؛ حيث كانوا لا يصلون إلا في أماكن مخصوصة.

وكذلك أباح الله تعالى له ﷺ ولأمته التطّهر بالتراب تيمماً عند عدم القدرة على استعمال الماء لأي عذرٍ كان.

---

(٩٧) يُنظر: تفسير السعدي (ص٩٧٥).

(٩٨) علّقه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (١٥٥١/٣).

(٩٩) يُنظر: تفسير ابن كثير (٤٧٥/٦).

(١٠٠) ينظر: المعجم الوسيط (١/ ٣٥٢)، مادة: رعب.

(١٠١) مثل: المقبرة، والحمام، وأعطان الإبل: أي الأماكن التي تبرك فيها الإبل.

Scanned with CamScanner

٩) إباحة الله الغنائم للنبي ﷺ ولأمته:

أباح الله لهذه الأمة الغنائم، وهي ما يظفر به المسلمون من أموال حين انتصارهم على الكفار، وهذا بخلاف ما كان عليه مَنْ كان قبلنا من الأمم السابقة، فإنهم إذا غنموا شيئاً لم يحل لهم أن يأكلوه أو يأخذوه، إنما يجمعونه فتأتي نارٌ من السماء تأكله.

ودليل هذه الفضائل الثلاث حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: (أُعطيتُ خمسًا لم يُعطَهن أحدٌ قبلي: نُصِرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلت لي الأرض مسجدًا وطَهورًا، فأيُّما رجل أدركَتْه الصلاة فليُصلِّ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيتُ الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثتُ إلى الناس عامة)[١٠٢].

١٠) إعطاء الله نبيَّه ﷺ جوامع الكلم:

المراد بجوامع الكلم: الكلمة التي يقتدر بها على إيجاز اللفظ مع سعة المعنى فيجمع الله له في الألفاظ اليسيرة المعاني الكثيرة، وهذا ما نجده في كل آية في القرآن الكريم كما نجده في كلامه ﷺ، ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ: (فُضِّلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وخُتم بي النبيون)[١٠٣].

ب- فضائل الرسول ﷺ في الآخرة:

اختص الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ بفضائل في الآخرة كما اختصه بفضائل في الدنيا، ومن ذلك:

١) مغفرة الله للنبي ﷺ ما تقدّم من ذنبه وما تأخر:

قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[الفتح:١-٢]، قال ابن كثير: "هذا من خصائصه صلوات الله عليه وسلامه عليه التي لا يشاركه فيها غيره"[١٠٤].

---

(١٠٢) صحيح البخاري (٣٣٥).
(١٠٣) صحيح مسلم (٥٢٣).
(١٠٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٨).

Scanned with CamScanner

٢) أنه ﷺ سيّد ولد آدم يوم القيامة:

النبي ﷺ سيد الناس في الدنيا والآخرة[١٠٥]، وسبب التقييد بيوم القيامة: أنه في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد، ولا يبقى منازع ولا معاند ونحوه بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين[١٠٦].

٣) أن النبي ﷺ أول مَنْ ينشق عنه القبر.

٤) أن النبي ﷺ أول شافع وأول مُشفع يوم القيامة:

فهو أول من يشفع، وأوّل من تقبل شفاعته ﷺ، قال النووي: "وإنما ذكر الثاني - أوّل مُشفّع - لأنه قد يشفع اثنان فيشفع الثاني منهما قبل الأول"[١٠٧].

ويدل على هذه الفضائل الثلاث الأخيرة قول رسول الله ﷺ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأوّل مَنْ ينشق عنه القبر، وأوّل شافع وأوّل مُشفّع)[١٠٨].

٥) أن النبي ﷺ صاحب المقام المحمود:

المقام المحمود الذي منحه الله تعالى لنبيه ﷺ هو الشفاعة العظمى التي اختصه الله بها[١٠٩]، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[الإسراء:٧٩].

قال السعدي- رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -: هو المقام الذي يحمده فيه الأولون والآخرون، مقام الشفاعة العظمى، حين يستشفعون بسيد ولد آدم؛ ليريحهم من همِّ الموقف وكربه، فيشفع عند ربه فيشفعه، ويقيمه مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون، وتكون له المنة على جميع الخلق[١١٠].

٦) أن النبي ﷺ أُعطي لواء الحمد:

جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام -آدم فمن دونه- تحت لوائه ﷺ، قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيّ يومئذٍ

---

(١٠٥) السيد: هو الذي يفوق قومه في الخير قاله الهروي. ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي: (٤٢/١٥).
(١٠٦) شرح صحيح مسلم، للنووي (٤٢/١٥).
(١٠٧) المرجع السابق (٤٢/١٥).
(١٠٨) صحيح مسلم (٢٢٧٨).
(١٠٩) فتح الباري، لابن حجر (٣٩٨/٣).
(١١٠) ينظر: تفسير السعدي (ص٤٦٩٥).

Scanned with CamScanner

آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر)[١١١].

٧) أن النبي ﷺ صاحب الحوض المورود:

حوضٌ عظيمٌ في أرض المحشر، ويَصبُّ فيه ميزابان من نهر الكوثر في الجنة، وصفه النبي ﷺ بقوله: (حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه[١١٢] كنجوم السماء، مَنْ شرب منها فلا يظمأ أبداً)[١١٣].

٨) أن النبي ﷺ أول من يجتاز بأمته الصراط:

عن أبي هريرة ﷺ -في حديث الرؤية- أن النبي ﷺ قال: (فيُضرَبُ الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يَجُوز[١١٤] من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذٍ أحدٌ إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذٍ: اللهم سَلِّم سَلِّم)[١١٥].

٩) أن النبي ﷺ أول من يَقرع باب الجنة فيُفتح له:

النبي ﷺ أول من تُفتح له الجنة، ولا تفتح لأحد قبله، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ (أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة)[١١٦].

وفي حديث أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ (آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: مَنْ أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك)[١١٧].

١٠) إيتاء الله نبيَّه ﷺ الوسيلة والفضيلة:

بيَّن رسول الله ﷺ لأصحابه ﷺ هذه المرتبة العظيمة في الجنة، الخاصة به دون غيره، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (سلوا الله لي الوسيلة)، قالوا: يا رسول الله وما الوسيلة؟ قال: (أعلى درجة في الجنة، لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو)[١١٨]. وقد رغبنا النبي ﷺ أن نسأل الله تعالى له الوسيلة بعد كل أذان فقال: (من قال

---

(١١١) سنن الترمذي (٣١٥٩).
(١١٢) أي فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء، والمقصود: آنيته. ينظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٤٨٠).
(١١٣) صحيح البخاري (٦٥٧٩).
(١١٤) قال في معجم الوسيط: جَازَ الموضع به: سار فيه وقطعه، والمراد: أي يقطعه ويسير عليه بأمته صلى الله عليه وسلم
(١١٥) صحيح البخاري (٨٠٦).
(١١٦) صحيح مسلم (٣٣١).
(١١٧) صحيح مسلم (٣٣٢).
(١١٨) سنن الترمذي (٣٦٣٢).

Scanned with CamScanner

حين يسمع النداء، اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة)[١١٩].

ثانيا- دلائل نبوة النبي ﷺ:

الدلائل: جمع دلالة - بفتح الدال وكسرها - وهي العلامة والأمارة التي يهتدى بها الوصول إلى الشيء.

ودلائل النبوة: هي العلامات التي عزّز الله بها رسوله الكريم لتدل على صدق نبوته ﷺ[١٢٠].

من حكمة الله تعالى ورحمته أن أعطى سيد المرسلين ﷺ أعظم الآيات وأكثرها وأظهرها وأدومها، لأن رسالته إلى جميع الثقلين، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، ولا نبي بعده ﷺ، وآيات النبي ﷺ متجددة إلى يوم القيامة؛ حيث قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:٥٣].

ودلائل نبوته ﷺ عديدة ومتنوعة جدًّا أفرد العلماء لها التصانيف الكثيرة[١٢١]،

ومن هذه الدلائل ما يلي:

١- القرآن الكريم:

أعظم معجزات النبي ﷺ وأكثرها فائدة، وأعظمها نفعاً، وأبلغها في الدلالة على صدق النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[العنكبوت:٥٠-٥١].

---

(١١٩) صحيح البخاري (٤٧١٩).

(١٢٠) ينظر: دلائل النبوة، للمستغفري (١١/١).

(١٢١) منها: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة للبيهقي، وغيرها.

Scanned with CamScanner

وقال النبي ﷺ: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه من البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة)[١٢٢].

قال ابن حجر: "ليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه بل المراد أنه المعجزة العظمى، التي اختص بها دون غيره"[١٢٣]، فالقرآن العظيم هو المعجزة الخالدة: ذلك أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة.

٢- البشارات:

من دلائل صدق نبوته ﷺ: بشارة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والكتب السابقة به، وبيان صفاته فيها عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف:١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[الصف:٦].

٣- الإرهاصات بنبوة النبي ﷺ:

الإرهاصات لغة: جمع إرهاص، وهو: الأمر الخارق للعادة يظهر للنبي قبل بعثته[١٢٤].

وقد ألف العلماء في ذلك مؤلفات، وسنقتصر على بعض الإرهاصات التي سبقت بعثة النبي ﷺ ومنها:

---

(١٢٢) صحيح البخاري (٧٢٧٤).

(١٢٣) فتح الباري، لابن حجر (٦٢٣/٨).

(١٢٤) ينظر: معجم لغة الشريعة (١٩٧/٢) مادة: رهص.

Scanned with CamScanner

١. النور الذي رأته أمه لما حملت به ووضعته:

عن العرباض بن سارية الفزاري ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، سأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءات لها منه قصور الشام)[١٢٥].

٢. تطهير قلب النبي ﷺ:

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره) فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره[١٢٦].

٣. تسليم الحجر على النبي ﷺ قبل بعثته:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن)[١٢٧]، قال النووي رحمه الله تعالى: "فيه معجزة له ﷺ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات"[١٢٨].

٤. الآيات الخبرية:

المقصود بالآيات الخبرية: إخبار النبي ﷺ عن أمور غائبة معينة إخبارا صادقا مفصلا كأنما رآها بعينه، فإن هذه الأخبار من براهين نبوته ﷺ، لأنها لا تكون قط إلا لنبي، وأخبار النبي ﷺ عن أمور الغيب ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الإخبار عن الغيوب الماضية: كما أخبر عن قصص الأنبياء السابقين، آدم ونوح وإبراهيم واسرائيل واسماعيل وموسى عليهم الصلاة والسلام، وذي القرنين وأصحاب الكهف وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين إخبارا مفصَّلة مُبيَّنة، يستحيل أن يكون إلا بإنباء وإعلام من الله تعالى، وقد سبق الكلام عن هذا في الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، فليراجع.

---

(١٢٥) صحيح ابن حبان (٦٤٠٤)، دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٨٠). وينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٨٠-١٨١).

(١٢٦) صحيح مسلم (٢٦١).

(١٢٧) صحيح مسلم (٢٢٧٧).

(١٢٨) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٥/ ٤٠).

Scanned with CamScanner

النوع الثاني: الإخبار عن الغيوب الحاضرة، في وقته ﷺ، فقد أخبر ﷺ بمغيبات وقعت في زمانه كما أخبر عليه الصلاة والسلام، ومن أمثلة ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة، في اليوم الذي مات فيه، فقال: (استغفروا لأخيكم)[١٢٩].

النوع الثالث: الإخبار عن الغيوب الآتية، فقد أخبر النبي ﷺ عن كثير من الأمور الآتية، فوقعت بعد زمانه كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

ومن الأمثلة على ذلك حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: رأيت الرسول ﷺ على المنبر، والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"[١٣٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: فوقع هذا كما أخبر به، بعد موت الرسول ﷺ بنحو ثلاثين سنة، وهو سنة أربعين من الهجرة، لما أصلح الله بالحسن بين الفئتين العظيمتين، اللتين كانت متحاربتين بصفّين عسكر علي وعسكر معاوية[١٣١].

٥. الآيات الفعلية:

إذا كانت الآيات الخبرية السابقة ترجع إلى العلم، فإن الآيات الفعلية لنبوته ﷺ تتعلق بالقدرة والفعل والتأثير، ويجمعها القدرة على أفعال وتأثيرات خارجة عن معهود الخلق.

والآيات والدلائل الفعلية على نبوته ﷺ تأتي على أنواع:

النوع الأول: ما هو في العالم العلوي، ولهذا النوع من الآيات أمثلة كثيرة منها: انشقاق القمر، قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[القمر:١]وقد انشق القمر آية لصدق النبي ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حِراء بينهما)[١٣٢]، وهي آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء.

---

(١٢٩) صحيح البخاري (١٣٢٧).
(١٣٠) صحيح البخاري (٢٧٠٤).
(١٣١) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢٢٦/٣).
(١٣٢) صحيح البخاري (٣٨٦٨).

Scanned with CamScanner

النوع الثاني: آيات الجو، كاستسقائه ﷺ، واستصحائه[١٣٣]، وطاعة السحاب له، ونزول المطر بدعائه ﷺ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "أصابت الناس سَنَةٌ[١٣٤] على عهد النبي ﷺ، فبينا النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع الأهل، فادع الله لنا، فرفع يديه. وما نرى في السماء قزعة[١٣٥]، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ، فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد وبعد الغد، والذي يليه، حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي. أو قال غيره.، فقال: يا رسول الله، تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه، فقال ﷺ: (اللهم حوالينا ولا علينا) فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجوبة[١٣٦]، وسال الوادي قناة شهراً، ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود"[١٣٧].

النوع الثالث: من الآيات الفعلية: تصرفه في الإنس والحيوان والجن[١٣٨]، ولهذا النوع أمثلة كثيرة منها: ما روى عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حَنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه[١٣٩] فسكت فقال مَن رَبُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل فجاء فتى من الأنصار فقال لي يا رسول الله فقال: (أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتُدئبه).[١٤٠].

النوع الرابع: آثاره ﷺ في الأشجار والخشب، ولهذا النوع أمثلة كثيرة منها: حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب القوم يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً

---

(١٣٣) من الصحو، وهو ذهاب الغيم وانقشاعه، والمراد: انكشاف الغيم والسحب وذهابها. ينظر: لسان العرب (٢٠٥/٨) مادة: صحا.

(١٣٤) السَنة: الجدب: أي: أصابهم جدب وقحط. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٨١٦/١) مادة: سنن.

(١٣٥) أي: قطعة من الغيم. ينظر: المرجع السابق (٤٥٠/٢) مادة: قزع.

(١٣٦) الجوبة: هي الحفرة المستديرة الواسعة، وكل منفتق بلا بناء، أي: صار الغيم والسحاب، محيطاً بآفاق المدينة. ينظر: المرجع السابق (٣٠٣/١) مادة: جوب.

(١٣٧) صحيح البخاري (٩٣٣).

(١٣٨) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢٧٧/٢).

(١٣٩) الذفران: مثنى ذفرى، والذفرى من البعير مؤخر رأسه، أصل أذنيه. وقوله: (تدئبه) أي تُكرهه وتُتعبه. ينظر: عون المعبود، ٧/ ١٥٨.

(١٤٠) سنن أبي داود (٢٥٤٩).

Scanned with CamScanner

كصوت العشار[١٤١]، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت[١٤٢])[١٤٣].

النوع الخامس: الماء والطعام والثمار الذي كان يكثر ببركته ﷺ فوق العادة، وهذا باب واسع[١٤٤]، ومن الأمثلة عليه روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه"، قال: "فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، حتى توضؤوا من عند آخرهم"[١٤٥].

٦. المسلك الشخصي:

وهو الاستدلال على صدق النبي ﷺ بهيئته، وصفاته، واطّراد الصدق في أخباره، والعدل في أحكامه، وبيان ذلك من وجوه منها: الاستدلال على صدقه بنور وجهه ﷺ، فعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ يعني المدينة، انجفل الناس إليه، وقيل: قَدِمَ رسول الله ﷺ، قَدِمَ رسول الله ﷺ، قَدِمَ رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله ﷺ عرفت أنه وجهه ليس بكذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: (يا أيها الناس: أفشوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)[١٤٦].

٧. المسلك النوعي:

وهو الاستدلال على صدق النبي ﷺ بما جاء به من العلوم والأعمال، لأنها من جنس ما جاءت به الرسل قبله في الإخبارات والإنشاءات، فقد أخبر عن توحيد الله وصفاته وملائكته وخلقه بمثل ما أخبرت به الرسل، وأمر بالأصول الكلية التي دعوا إليها، كالتوحيد والعدل، والصدق، والصلاة، والزكاة، ونهى عن الشرك، والظلم، والفواحش كما نهت عن ذلك الرسل قبله، ومن الأمثلة على ذلك:

١- حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: (أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم،... وفيه أن خديجة رضي الله عنها انطلقت به إلى ورقة بن نوفل فسمع

---

(١٤١) جاء في حديث آخر في البخاري (٣٥٨٤): (فصاحت النخلة صياح الصبي).

(١٤٢) أي: هدأت، قال في معجم الوسيط: سكن المتحرك: وقفت حركته، وسكنت الريح: هدأت.

(١٤٣) صحيح البخاري (٣٥٨٥).

(١٤٤) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٣٩٤).

(١٤٥) صحيح البخاري (١٦٩).

(١٤٦) سنن الترمذي (٢٤٩٣).

Scanned with CamScanner

منه ثم قال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل على موسى...)[١٤٧].

٢- ما ورد في قصة النجاشي عندما قرأ عليه جعفر بن أبي طالب ﷺ صدرا من سورة مريم، حيث قال النجاشي لجعفر: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من (كهيعص) فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، ثم قال النجاشي: (إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة)[١٤٨].

والمسلك النوعي كما يدل على صدق النبي ﷺ، فإنه يدل على صدق الأنبياء قبله؛ لأنه أخبر بمثل ما أخبروا، وكلٌ منهم أخبروا عن توحيد الله وصفاته وعرشه وخلقه بأخبار مفصلة يمتنع الاتفاق عليها عادة إلا بتواطؤ، فإذا لم يكن تواطؤٌ ولا تشاعرٌ عُلم أن كُلًّا منهم صادق.

(١٤٧) صحيح البخاري (٣).
(١٤٨) مسند أحمد (١٧٤٥).

Scanned with CamScanner

ثالثا- تعريف السنة:

أ- تعريف السنة لغة:

تطلق على الطريقة والسيرة حسنةً كانت أو قبيحة، والجمع: سُنَنٌ[١٤٩]، ومما يدل على هذا المعنى من محكم التنزيل قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾[الكهف:٥٥].

ويُدل على هذا المعنى من السنة قوله ﷺ: " من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"[١٥٠].

ب- تعريف السنة اصطلاحاً:

السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، والعلماء في الفنون الشرعية يستقون منها، ويرجعون إليها ويأخذون منها كل بحسب تخصصه، ولذلك كان لكل أصحاب فن من الفنون الشرعية اصطلاحه في تعريف السنة، ومن أجل ذلك سنعرض لتعريف السنة عند المحدثين والفقهاء والأصوليين على النحو التالي:

١- تعريف السنة عند علماء الحديث:

ما أثر عن النبي ﷺ: من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلقية، أو خُلقية.

---

(١٤٩) ينظر: لسان العرب (٧/ ٢٨٠) مادة: سنن، المعجم الوسيط (١/ ٤٥٦) مادة سنة.
(١٥٠) صحيح مسلم (١٠١٧).

Scanned with CamScanner

* شرح التعريف:

١. القول: هو ما تحدث وتكلم به النبي ﷺ: في مختلف المناسبات، وغالبها بيان لأحكام الإسلام وما يتعلق به.

مثاله: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...الحديث)[١٥١].

٢. الفعل: ما نقله الصحابة رضي الله عنهم من أفعال النبي ﷺ: في شؤون العبادة وغيرها كأداء الصلوات، ومناسك الحج، وآداب الصيام وقضائه، ومعاملته لأهل بيته ونحو ذلك.

٣. التقرير: ما أقره الرسول ﷺ من أفعال أو أفعال صدرت عن بعض أصحابه رضي الله عنهم بسكوت منه مع دلالة الرضى، أو بإظهار استحسان وتأييد.

٤. الصفة الخَلقية: هي هيئة النبي ﷺ وصفته التي خلقه الله عليها، كصفة وجهه وطوله وغير ذلك، ومن أمثلتها قول البراء رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خَلقًا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير"[١٥٢].

٥. الصفة الخُلُقية: وهي ذكر أخلاقه ﷺ، وما طبعه الله تعالى عليه من كريم الأخلاق والسجايا، وهي ما يسمى عند علماء السنة (الشمائل) ويكفي في ذلك ما وصفه الله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤]. وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: "كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها"[١٥٣].

٢- تعريف السنة في اصطلاح الأصوليين:

ما نُقِل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

---

(١٥١) صحيح البخاري (١).

(١٥٢) صحيح البخاري (٣٥٤٩).

(١٥٣) صحيح البخاري (٣٥٢٦).

Scanned with CamScanner

٣- تعريف السنة في اصطلاح الفقهاء:

ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراض ولا وجوب.

وعرفت عندهم بأنها: ما يستحق الثواب بفعله، ولا يعاقب بتركه(١٥٤).

ومن أمثلتها: السنن الراتبة، قيام الليل، صوم التطوع، حج التطوع، الذكر بعد الصلاة.

السبب في اختلاف التعاريف:

ومرد هذا الاختلاف في الاصطلاح إلى اختلافهم في الأغراض التي يَعنى بها كل فئة من أهل العلم.

فعلماء الحديث: إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الإمام الهادي الذي أخبر الله تعالى عنه أنه أسوة وقدوة لنا، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخُلُق وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال، سواءً أثبت ذلك حكمًا شرعيًا أم لا.

وعلماء الأصول: إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ المشرِّع الذي يضع قواعد المجتهد من بعده، ويبين للناس منهج الحياة، فاعتنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام بها وتقررها.

وعلماء الفقه: إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الذي لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوبًا أو حرمة أو إباحة أو غير ذلك.

(١٥٤) ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ٢/٢٩٨.

Scanned with CamScanner

رابعًا- حجية السنة:

سنة رسول الله ﷺ هي الأصل الثاني من أصول التشريع الإسلامي، وهي أحد قسمي الوحي الإلهي الذي أنزل على رسول الله ﷺ، والقسم الأول هو القرآن الكريم، فكل من القرآن الكريم والسنة وحي من الله تعالى، قال جل وعلا: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤].

فالله سبحانه وتعالى قد أنزل القرآن الكريم على رسوله ﷺ ليكون المصدر الأول للتشريع، بما يشتمل عليه من الأصول العامة والأحكام المجملة وهو ﷺ مكلف بتبليغه وبيانه وتوضيحه للناس، فإلى جانب تبليغ وحي الله تعالى وهو القرآن الكريم، وهي المهمة الأولى للرسول ﷺ، فعليه أن يبين هذه الأصول العامة وتلك الأحكام المجملة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

ولا خلاف بين العلماء الذين يعتد بهم في أن السنة يحتج بها، وقد دل على مكانتها وحجيتها القرآن الكريم والسنة والإجماع.

أدلة حجية السنة:

١- أدلة حجيتها من القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات تبين مهمة الرسول ﷺ وتوجب طاعته ﷺ وأنها من طاعة الله تعالى، وتأمر بالتسليم والاستسلام لحكمه والاستجابة له ﷺ، وتحذر وتنهى عن مخالفته ﷺ، ومن ذلك:

١- قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠]، ففي هذه الآية ربط الله تعالى طاعة الرسول ﷺ بطاعته تبارك وتعالى، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم بمثل هذا المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[التغابن:١٢].

٢- قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

﴿يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]؛ فربط سبحانه وتعالى بين الإيمان به والتحاكم إلى الرسول ﷺ والتسليم والاستسلام والرضا بذلك.

٢- أدلة حجية السنة من السنة:

وجاءت أحاديث عدة في السنة المطهرة تدل على حجيتها، ووجوب التمسك والعمل بها، ومن ذلك:

١- حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بهم ووعظهم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، وفيه قال ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[١٥٥].

٢- ومما جاء في أن الرسول ﷺ قد علق دخول الجنة بطاعته والحرمان منها بمعصيته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" قيل: ومن يأبى يا رسول الله! قال: "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)[١٥٦].

٣- حجية السنة من الإجماع:

أجمعت الأمة من لدن صحابة رسول الله ﷺ - رضي الله عنهم - إلى العصر الحاضر على أن السنة النبوية المطهرة حجة واجبة الاتباع يجب التمسك والعمل بها، وممن نقل الإجماع على ذلك الإمام الشافعي رحمه الله تعالى حيث قال: "أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة الرسول ﷺ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس"[١٥٧].

خامسا- علاقة السنة بالقرآن الكريم:

السنة المطهرة مرتبطة بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً، لأنها وحي من الله تعالى، وارتباطها بالقرآن يتمثل في الوجوه التالية:

---

(١٥٥) سنن أبي داود (٤٦٠٧).
(١٥٦) صحيح البخاري (٧٢٨٠).
(١٥٧) ينظر: إعلام الموقعين، لابن القيم (١١/٢).

Scanned with CamScanner

١- الوجه الأول: السنة تأتي مؤكدة ومؤيدة لما في القرآن الكريم:

ومؤكدة للحكم الشرعي الذي جاء في القرآن، ومن ذلك: وردت في القرآن الكريم آيات تدل على وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج، وحرمة أكل مال الغير، والنهي عن الزنا وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وجاءت في السنة أحاديث تدل على ذلك كله وتؤكده، ومن الأمثلة قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣، ١١٠، النور:٥٦، المزمل:٢٠].

وجاء في السنة قوله ﷺ: (بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)[١٥٨].

٢- الوجه الثاني: السنة تأتي مفسرة ومبينة لما أجمله لقرآن الكريم:

أغلب السنة من هذا النوع، ولهذا وصفت السنة بأنها مبينة للكتاب، وهذا التفسير والتبيين جاء على عدة أنواع:

١. تفصيل مجمل القرآن الكريم:

جاءت آيات كثيرة من القرآن الكريم مجملة المعنى، فجاءت السنة تفصل وتبين ذلك المجمل، كالأحاديث التي فصلت أحكام العبادات والمعاملات التي وردت في القرآن مجملة، فمثلاً: جاء الأمر بالصلاة في القرآن مجملاً، فجاءت السنة وبينت عدد ركعاتها وكيفياتها وأوقات الصلوات، وكالزكاة ورد في القرآن مجملة، وبينت السنة مقاديرها، ونحو ذلك ومثله كثيرة جدا في القرآن الكريم والسنة.

٢. تقييد المطلق:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨]، فاليد هنا مطلقة، وهي تشمل من أطراف الأصابع إلى مفصل الكتف، فجاءت السنة فقيدت ذلك الإطلاق، وبينت أن قطع يد السارق من مفصل الكف، حيث أمر الرسول ﷺ بقطع يد السارق من المفصل[١٥٩].

---

(١٥٨) صحيح البخاري (٨).

(١٥٩) سنن الدارقطني (٣٤٦٦).

Scanned with CamScanner

٣. تخصيص العام:

وردت في القرآن أوامر عامة، فجاءت السنة فخصصت هذا العموم، كما في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١]، فالآية قررت حق الأولاد في الإرث من آبائهم وأمهاتهم، لكن السنة منعت الولد القاتل من الميراث، فقد قال ﷺ: "ليس للقاتل شيء، وإن لم يكن له وارث فوارثه أقرب الناس إليه، ولا يرث القاتل شيئًا"(١٦٠).

٤. بيان المبهم والمشكل:

فعندما نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: "ليس كما تظنون، إنما هو قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

٣- الوجه الثالث: السنة تأتي مستقلة بالتشريع:

وهي السنة التي جاءت بأحكام منفردة لم تذكر في القرآن الكريم أصلاً، وهي مما يجب العمل بها، لأنها جاءت عن رسول الله ﷺ، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

١. تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، فقد قال ﷺ: (لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها)(١٦١).

٢. تحريم لبس الذهب والحرير على الرجال، فقد ورد عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أحل الذهب والحرير لإناث أمتي وحُرم على ذكورها)(١٦٢).

إلى غير ذلك من الأحكام التي جاءت بها السنة النبوية، مما يؤكد المكانة العظيمة للسنة، وأنها المصدر الثاني من مصادر التشريع.

---

(١٦٠) سنن أبي داود (٤٥٦٤).
(١٦١) صحيح البخاري (٥١٠٩).
(١٦٢) سنن النسائي (٥١٤٨).

Scanned with CamScanner

خلاصة الوحدة

فضائل النبي صلى الله عليه وسلم عديدة في الدنيا والآخرة، والدلائل على نبوته صلى الله عليه وسلم عديدة، وأعظمها القرآن الكريم، المعجزة الخالدة المستمرة.

وسنة النبي صلى الله عليه وسلم حجة يجب العمل بها، وتصديق أخبار السنة والعمل بأوامرها من لوازم شهادة أن محمدا رسول الله.

Scanned with CamScanner

أنشطة الوحدة

١- هناك بعض الكافرين الذين شهدوا بنبوغ النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحسن أخلاقه، وأنه من عظماء البشرية أو أعظمهم، اذكر عددا من هذه المقولات؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٢- ما هي خطورة إنكار السنة النبوية أو تكذيب بعض ماجاء فيها على شعائر الدين؟

.....

.....

.....

.....

Scanned with CamScanner

٢ | الوحدة الثانية

حفظ السُّنة النبوية وتدوينها

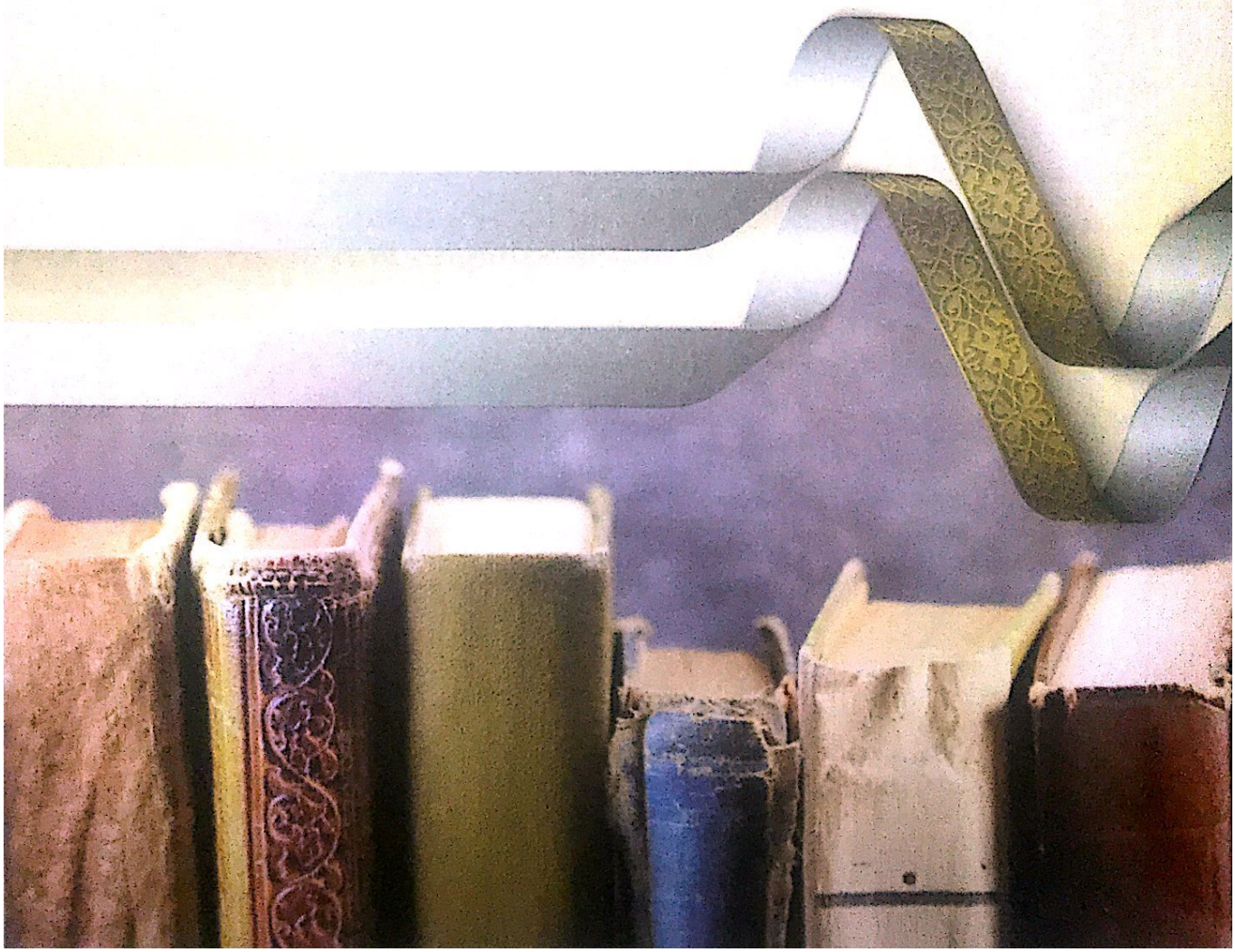

Scanned with CamScanner

الوحدة الثانية: حفظ السنة النبوية وتدوينها

تهدف هذه الوحدة إلى :

١- أن يعرف الطالب أدلة حفظ السنة النبوية

٢- أن يدرك الطالب أن حفظ السنة النبوية لازم من لوازم حفظ القرآن ولازم من لوازم حفظ الدين

٣- أن يعرف الطالب مراحل تدوين السنة النبوية وخصائص كل مرحلة

٤- أن يعرف الطالب أهم مدونات السنة النبوية

Scanned with CamScanner

أولا- حفظ السنة النبوية:

من المعلوم من الدين بالضرورة أن السنة وحي إلهي، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم:٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣]، والحكمة هي السنة(١٦٣)، وفي حديث المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)(١٦٤).

أدلة حفظ السُّنة النَّبوية:

١. أن الله جل جلاله قد تكفل بحفظ القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، ومن لوازم حفظ القرآن الكريم: حفظ السنة النبوية؛ إذ السنة بيانٌ للقرآن كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

٢. أن الله جل جلاله جعل الشهادتين شرط دخول الإيمان، ومن لوازم شهادة أن محمدا رسول الله تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، ولا يتحقق تصديق الرسول ﷺ وطاعته إلا بشيءٍ محفوظٍ ينقل عنه يُطلب فيه التصديق والطاعة.

٣. أن الله جل جلاله أمر المسلمين بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج وغيرها من الشرائع، وهذه الشرائع لا يمكن إقامتها إلا بحفظ السنة النبوية التي بينت حدودها، ومن أمثلة ذلك: بيان الصلاة ومواقيتها وهيئتها وأركانها وشروطها وواجباتها ومحرماتها، وبيان الزكاة ومقاديرها وشروطها، وبيان الصوم ومواقيته وأعذار الفطر وكيفية قضائه، وبيان الحج وشروطه وأركانه ومواقيته وسننه ومكروهاته، وبيان جميع شرائع الدين وأحكامه وأخلاقه وعقائده.

---

(١٦٣) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤١١/٢.

(١٦٤) سنن أبي داود (٤٦٠٤).

Scanned with CamScanner

ومن حفظ الله تعالى لسنة نبيه ﷺ أن سخر الله سبحانه الصحابة ﷺ لحفظ سنة نبيه ﷺ والعمل بها وتعليمها للناس.

ومن حرص الصحابة ﷺ على تتبعهم لأقواله وأعماله ﷺ أنهم كانوا يتناوبون ملازمة مجلسه يومًا بعد يوم، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهم من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ فينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك"(١٦٥).

ومن حرصهم على سنته ﷺ أن القبائل النائية عن المدينة النبوية كانت ترسل بعض أفرادها إلى النبي ﷺ، ليتعلموا أحكام الإسلام من رسول الله ﷺ ثم يرجعون إليهم معلمين ومرشدين.

ومن حرصهم على تعلم سنته ﷺ أنهم كانوا يسألون زوجاته رضي الله عنهن فيما يتعلق بشأن الرجل مع زوجته لعلمهن بذلك، وكانت الصحابيات رضي الله عنهن يذهبن إلى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ليسألنهن عن أمور دينهن.

ومن حرصهم على سنة الرسول ﷺ والحفاظ عليها أن الواحد منهم ﷺ ليسافر مسيرة شهر في ذلك العصر(١٦٦)، والمسافات الطوال من أجل التثبت من صحة الحديث، وأن الرسول ﷺ قد تكلم به(١٦٧).

ومن حرصهم أنهم قاموا ﷺ بكتابة بعض الأحاديث في الصحف والأجزاء ثم نشروها بين الناس أداءً للأمانة التي اختيروا لها، كما أداها رسول الله ﷺ إليهم ممتثلين في ذلك قوله ﷺ: (بلغوا عني ولو آية)(١٦٨)، وقوله ﷺ: (نضَّر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره، فرُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورُب حامل فقهٍ ليس بفقيه)(١٦٩).

---

(١٦٥) صحيح البخاري: (٥١٩١).

(١٦٦) ومن ذلك سفر جابر بن عبدالله رضي الله عنهما إلى عبدالله بن أنيس رضي الله عنه ليسمع منه حديثًا في القصاص يوم القيامة.

(١٦٧) مسند أحمد (١٦٠٤٨).

(١٦٨) صحيح البخاري (٣٤٦١).

(١٦٩) سنن الترمذي (٢٦٦٥).

Scanned with CamScanner

وهكذا كانت عناية خير القرون ﷺ بالسنة المطهرة في حياته ﷺ، حيث كان شأنُهم اقتداءً تامًا به عليه الصلاة والسلام، ووقوفًا عند حدود أمره ونهيه وتسليمًا كاملاً لحكمه، والتزامًا دقيقًا بهديه، وحرصًا شديدًا على تعلم سنته ﷺ وحفظها والحفاظ عليها.

وقد استحضر الصحابة ﷺ خطورة أمر التحديث عن رسول الله ﷺ، فاتخذوا الحيطة والحذر في حفظ الحديث وفي سماعه ونقله، خاصة بعدما سمعوا قول النبي ﷺ: (من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار)[١٧٠]، وقوله ﷺ: (مَنْ حدّث عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين)[١٧١]؛ لذلك كله كان الصحابة ﷺ مع حرصهم على تبليغ دين الله تعالى للأمة شديدي التحري والتثبت فيما يروونه عن رسول الله ﷺ، فكانوا لا يحدثون بشيء إلا وهم واثقون من صحته عن رسول الله ﷺ، ولا يقبلون من الأخبار إلا ما عرفوا صحته وثبوته.

وبعد انقضاء عصر الصحابة ﷺ بدأ بزوغ شمس الفتن والأهواء والبدع، فأخذ البعض يثير الفتن والشكوك والشبهات بين المسلمين عمومًا، وحديثي العهد بالكفر خصوصًا؛ إذ لم يكن عندهم من الإيمان وخوف الله تعالى ما يعصمهم من الكذب على رسول الله ﷺ، فزادوا في الأحاديث ما يصوّر بدعهم وأهواءهم، الأمر الذي أوجب على التابعين وتابعيهم من أهل القرون المفضلة ﷺ أن يزيدوا من حيطتهم وحذرهم وحرصهم حتى يميزوا بين أحاديث رسول الله ﷺ وغيرها من الأحاديث والروايات التي وضعها الوضاعون الكذابون الذين يريدون نصرة ما ذهبوا إليه بالباطل، وكل ذلك فعله التابعون وتابعوهم ﷺ من أجل الحفاظ على سنة رسول الله ﷺ صحيحة نقية مما يشوبها وهو ليس منها.

ومن مظاهر عناية التابعين بحفظ سنة النبي ﷺ:

١) تأسيس علم مصطلح الحديث لحفظ سنة النبي ﷺ والعناية بها.

٢) حفظ أحاديث السنة النبوية عن ظهر قلب، والتثبت في روايتها ونقلها.

٣) الاهتمام بالسند[١٧٢]، والسؤال عنه.

٤) البحث في أحوال الرجال، ونَقَلَة الأخبار، الأمر الذي نتج عنه علم الرجال، الذي

---

(١٧٠) صحيح مسلم (٣٠٠٤).

(١٧١) سنن الترمذي (٢٦٧١).

(١٧٢) المقصود بالسند: سلسلة الرجال الموصلة للمتن.

Scanned with CamScanner

أصبح ميزة لهذه الأمة المحمدية عن غيرها من الأمم، وأُلفت في هذا المجال كتب عدة في الجرح والتعديل ومعرفة أحوال الرواة.

٥) الاعتناء باتصال السند وانقطاعه وصيغ التحمل والأداء.

٦) تدوين السنة في عهدهم، والذي بدأ بصحف وأجزاء ثم تطوّر إلى مصنفات وكتب مبوّبة ومرتبة إما على الأبواب كالكتب الستة[١٧٣] وموطأ الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرها، وإما على المسانيد كمسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره.

وقد كان للتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أثر كبير في تدوين السنة لا يقل أهمية في توثيق الحديث عن جهود الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(١٧٣) الكتب الستة: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه.

Scanned with CamScanner

ثانيا- تدوين السنة النبوية:

مرَّ تدوين السنة المطهرة بمراحل تاريخية، تميزت كل مرحلة منها بمزايا تناسب وقتها وظروفها وملابساتها، ونشرح فيما يلي بإيجاز هذه المراحل التي انتهت بتدوين السنة المطهرة في هذه المصنفات العظيمة الجليلة التي بين أيدينا اليوم.

١-الكتابة في عهد الرسول ﷺ:

مرت كتابة الحديث على عهد رسول الله ﷺ بمرحلتين: المرحلة الأولى: النهي عن الكتابة، والمرحلة الثانية: الأمر والإذن بالكتابة.

- **المرحلة الأولى- النهي عن الكتابة:**

رويت عدة أحاديث في النهي عن كتابة الحديث، غير أن غالب هذه الأحاديث قد حكم عليها أهل العلم بأنها منكرة وضعيفة، ولذلك فلا يعتد بها. ولم يصح في النهي عن كتابة الحديث غير قوله ﷺ: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار"(١٧٤).

وقد علل العلماء النهي عن كتابة الحديث في هذه المرحلة بأسباب منها:

١. كان النهي في أول الإسلام مخافة اختلاط الحديث بالقرآن الكريم، فلما كثر عدد المسلمين وعرفوا القرآن الكريم معرفة رافعة للجهالة، وميزوه من الحديث، زال هذا الخوف عنهم فنُسخ الحكم.

٢. كان النهي في أول الإسلام خشية انشغال الصحابة ﷺ بكتابة الحديث عن القرآن الكريم وهم حديثو عهد به في أول الأمر، وحتى يتعلموا القرآن الكريم ويتقنوه ويميزوه عما سواه.

---

(١٧٤) صحيح مسلم (٣٠٠٤).

Scanned with CamScanner

• المرحلة الثانية- مرحلة الإذن بالكتابة والأمر بها:

جاءت هذه المرحلة بعدما كتب القرآن الكريم وزال الاشتباه والالتباس، وأُمن الخلط بين القرآن الكريم والسنة النبوية، وأُتقن حفظ القرآن الكريم وتم تمييزه عن غيره، وتُيقن من عدم انشغال الصحابة ﷺ بالحديث عن القرآن الكريم، وحيث زالت العلة أُبيحت الكتابة ورُفع ونُسخ حكم النهي عنها، وجاءت الأحاديث عنه ﷺ بالأمر بالكتابة والإذن والرضى بها، ومنها:

١. عن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فيه[١٧٥] فقال: (اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق)[١٧٦].

٢. عن أبي هريرة ﷺ قال: لما فتح الله على رسوله ﷺ مكة، قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ... فقام أبو شاه، رجل من أهل اليمن، فقال: الي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: (اكتبوا لأبي شاه) أي: هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ[١٧٧].

ومن الأمثلة على كتابة الحديث النبوي في عهد النبي ﷺ:

١. الصحيفة الصادقة لعبدالله بن عمرو ﷺ، وفيها ما يزيد عن مائة حديث[١٧٨].

٢. صحيفة علي بن أبي طالب ﷺ وهي صحيفة صغيرة تحوي مقادير الديات وأحكام الأسير[١٧٩].

٢- الكتابة في عهد الصحابة ﷺ:

اتضح لنا جليا في المرحلة الثانية لكتابة السنة في عهد النبي ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام أذن بكتابته وأمر بها، وعليه فإن الصحابة ﷺ انتهى بهم الأمر إلى ذلك،

---

(١٧٥) أي: فمه عليه الصلاة والسلام.

(١٧٦) سنن أبي داود (٣٦٤٦).

(١٧٧) صحيح البخاري (٢٤٣٤).

(١٧٨) صحيفته التي كتبها عن النبي ﷺ تسمى الصادقة، وقد أخرج الإمام أحمد قسما كبيرا منها في مسنده.

(١٧٩) وقد ذكرها الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم.

Scanned with CamScanner

فاعتنوا ﷺ بكتابة الحديث عناية بالغة فكتبوا لأنفسهم ولغيرهم، وكتب طلابهم بين أيديهم، إلا أن السنة المطهرة في هذا العهد الذي يمتد إلى نهاية القرن الأول لم تكن دُوِّنت تدوينا كاملا كما دوّن القرآن الكريم، بل بقي الحال كما كان عليه في العهد النبوي من وجود الكتابة والتقييد للسنة النبوية مفرقة، ومن الأمثلة على ما كتبه الصحابة ﷺ من الحديث بعد عهد النبي ﷺ:

١. رسالة سمرة بن جندب ﷺ إلى بنيه، ضمّنها ما سمعه من رسول الله ﷺ، قال ابن سيرين رحمه الله: "في رسالة سمرة بن جندب إلى بنيه علم كثير"(١٨٠).

٢. كتاب لأبي رافع مولى رسول الله ﷺ، وهو يضم أحاديث في استفتاح الصلاة.

٣- السنة في القرن الثاني الهجري:

شمل هذا القرن عصر جيلين:

الجيل الأول- صغار التابعين:

تأخرت وفاة بعض التابعين ﷺ إلى ما بعد سنة ١٤٠هـ، وهؤلاء التابعون تلقوا ﷺ السنة، وبذلوا في تدوين السنة وحفظها جهودا كبيرة، واهتموا بكتابة الحديث واحتفظوا بأجزاء وصحف كانوا يروونها، وانتشرت كتابة الحديث فيهم على نطاق أوسع مما كان في زمن الصحابة ﷺ إذ أصبحت الكتابة ملازمة لحلقات العلم المنتشرة في الأمصار الإسلامية آنذاك، ولعل من أسباب ذلك التوسع ما يلي:

١. انتشار الروايات، وطول الأسانيد، وكثرة الرواة وكناهم وأنسابهم.

٢. موت كثير من حفاظ السنة من الصحابة وكبار التابعين ﷺ.

٣. ضعف ملكة الحفظ المعهودة فيمن سبقهم.

٤. ظهور البدع والأهواء وفشوّ الكذب والوضع على رسول الله ﷺ.

---

(١٨٠) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ١٥٠)، رقم الترجمة: ٣٤٨٨.

Scanned with CamScanner

وفي هذا الجيل تولى الخلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﷺ ورأى أن يدوِّن حديث رسول الله ﷺ ويحفظه، وهذا ما يسمى بالتدوين الرسمي؛ لأنه صدر بأمر من أمير المؤمنين. وقد قام أمير المؤمنين ﷺ باتخاذ خطوات عملية وفعلية لهذا التدوين، فكتب إلى عامله على المدينة النبوية بتدوين حديث رسول الله ﷺ، فعن عبدالله بن دينار قال: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أهل المدينة: أن انظروا إلى حديث رسول الله ﷺ فاكتبوه، فإني قد خفت دروس العلم[١٨١] وذهاب أهله[١٨٢].

الجيل الثاني- أتباع التابعين:

نشط الأئمة والعلماء من هذا الجيل في خدمة السنة وعلومها وحمايتها من كل ما يشوبها، وعلى أيديهم بدأ التدوين المبوّب المرتب بعد أن كان مَن قبلهم يجمع الأحاديث في الصحف والكراريس بدون تبويب ولا ترتيب، ونشأ وتفتق على أيديهم علم الرجال بعد أن كان الإسناد قد بدأ في أواخر عصر الصحابة وكبار التابعين ﷺ.

ويعتبر هذا الجيل جيل التأسيس لعلوم السنة المطهرة، وفيه عاش جهابذة رجال السنة أمثال الأئمة: مالك والشافعي والثوري والأوزاعي وشعبة وابن المبارك وأبي إسحاق الفزاري وابن عيينة ووكيع وغيرهم رحمهم الله تعالى، وقد تطور التدوين في هذا القرن، وتطوره يتضح في الفقرات الآتية:

١. ظهور التفريق بين التدوين الذي هو مجرد الجمع، والتصنيف الذي هو الترتيب والتبويب والتمييز في المصنفات في هذا القرن.

٢. أن هذه المصنفات المدونة في هذا العصر قد جمعت إلى جانب أحاديث الرسول ﷺ أقوال الصحابة وفتاوى التابعين بعد أن كانت تتناقل مشافهة، وكانت الصحف فيما مضى تقتصر على الأحاديث النبوية.

٣. أن طريقة التدوين في مصنفات هذا القرن هي: جمع الأحاديث المتناسبة في باب واحد، ثم جمع جملة من الأبواب أو الكتب في مصنف واحد، بينما التدوين في القرن الماضي مجرد جمع الأحاديث في الصحف بدون ترتيب أو تمييز.

---

(١٨١) دروس: درس: عفا وذهب أثره وتقادم عهده، والمقصود: ذهاب العلم وزواله ونسيانه، ينظر: المعجم الوسيط: ١/ ٢٧٩، مادة: درس.

(١٨٢) سنن الدارمي (٥٠٥).

Scanned with CamScanner

٤- السنة في القرن الثالث الهجري:

يعتبر هذا القرن عصر ازدهار العلوم الإسلامية عامة، وعلوم السنة خاصة، بل يعد هذا القرن من أزهى عصور السنة النبوية، إذ نشطت فيه الرحلة لطلب العلم، ونشط فيه التأليف في علم الرجال، وتوسُّع في تدوين الحديث، فظهرت كتب المسانيد، والكتب الستة التي اعتمدتها الأمة واعتبرتها دواوين الإسلام.

في هذا القرن بدأ العلماء يقصرون المصنفات على الأحاديث حاذفين أقوال الصحابة والتابعين ﷺ من كتب الحديث.

وتتلخص مناهج المصنفين في هذا العصر بالطرق الآتية:

الطريقة الأولى- المسانيد:

وتعتمد هذه الطريقة على جمع أحاديث كل صحابي على حدة، وتسمى طريقة المسانيد؛ لأن غايته ذكر الأحاديث المسندة لذلك الصحابي، فتجد كل الأحاديث التي رواها عن رسول الله ﷺ في مكان واحد، وإن اختلفت مواضيعها.

ومن أشهر الكتب التي ألفت على طريقة المسانيد:

١) مسند أبي داود الطيالسي (ت: ٢٠٤هـ).

٢) مسند أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ).

الطريقة الثانية- التصنيف على الأبواب:

وتعتمد هذه الطريقة على جمع الأحاديث وترتيبها بحسب موضوعها، بحيث يتم جمع ما ورد في حكم من الأحكام تحت كتاب معين ثم تقسيمها موضوعيا ووضع الأبواب المناسبة لذلك، فمثلا كتاب الصلاة يندرج تحته: باب الصلوات الخمس، صلاة العيدين، صلاة التطوع، صلاة الاستسقاء، وهكذا، وأهل هذه الطريقة منهم من اقتصر على الصحيح دون غيره مثل:

١) البخاري (ت: ٢٥٦هـ) في صحيحه.

٢) مسلم (ت: ٢٦١هـ) في صحيحه.

Scanned with CamScanner

ومنهم من دوّن الصحيح وغيره والحسن بل والضعيف أحيانا، وأشهرهم أصحاب السنن الأربعة:

١) أبو داود (ت: ٢٧٥هـ) في سننه.

٢) الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) في سننه.

٣) النسائي (ت: ٣٠٣هـ) في سننه.

٤) ابن ماجه (ت: ٢٧٣هـ) في سننه.

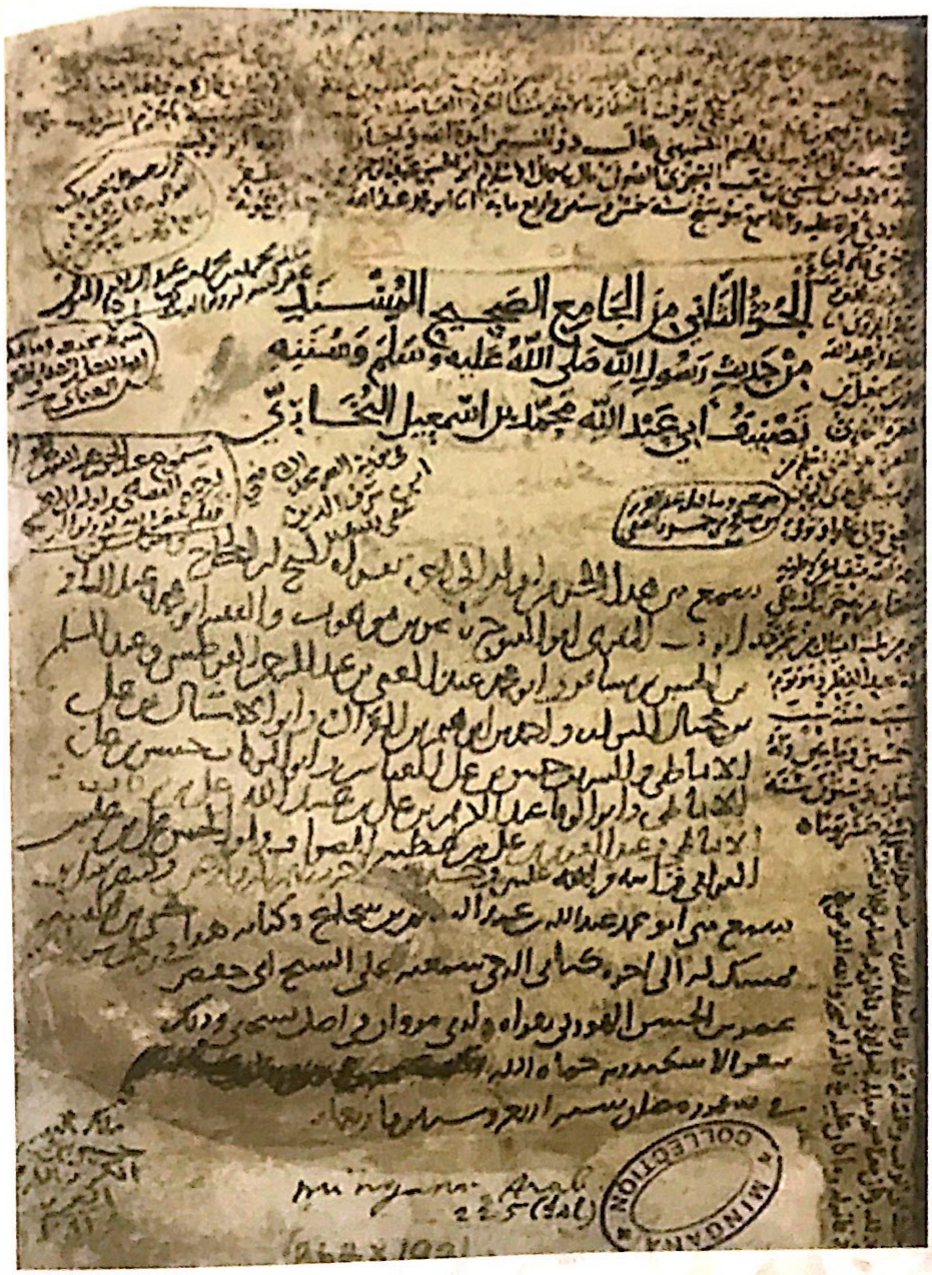

Scanned with CamScanner

خلاصة الوحدة

حفظ السنة فرعٌ عن حفظ القرآن الكريم، ولازمٌ من لوازمه، بل حفظ السنة لازم من لوازم حفظ الدين وبقائه، فهي طريق تفسير القرآن الكريم، وهي طريق معرفة شرائع الدين.

Scanned with CamScanner

أنشطة الوحدة

١- كم عدد الأحاديث التي انتقى الإمام البخاري منها كتابه الصحيح؟

٢- ما مكانة صحيح البخاري وصحيح مسلم بين الكتب التي دونت السنة النبوية؟

Scanned with CamScanner

٣ | الوحدة الثالثة

واجبنا نحو السُّنة النبوية

Scanned with CamScanner

الوحدة الثالثة: واجبنا نحو سنة النبي صلى الله عليه وسلم

تهدف هذه الوحدة إلى بيان:

١- معرفة مدى مكانة صلى الله عليه وسلم من خلال الحقوق التي أوجبها الله تعالى على أمته صلى الله عليه وسلم.

٢- أن للنبي صلى الله عليه وسلم حقوقاً عظيمة على أمته صلى الله عليه وسلم

٣- اتقان هذه الحقوق بأدلتها من القرآن والسنة.

٤- أن تتبين أن من حقوقه صلى الله عليه وسلم ما يتعلق بالآخرين لمحبة من يحبهم صلى الله عليه وسلم.

٥- الالمام بمعنى شهادة أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

٦- أن تجعل أداء هذه الحقوق من أهم أولوياتك ونبراساً في حياتك، والقيام بها على أكمال وجه.

٧- أن توضح للناس بشتى الوسائل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم حقوقاً عظيمة وعلى الأمة جمعاً، والحرص على تعلمها والعمل بها.

Scanned with CamScanner

أرسل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بالحق بشيراً ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا، فما من خير إلا وأرشد أمته إليه، وما من شر إلا وحذر أمته منه ونهاها عنه، وقد وصفه الله تعالى في ذلك بوصف بليغ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]، لذلك كان على الأمة الإسلامية جمعاء أن تعرف سنته ﷺ، وتقوم بالحقوق الواجبة لسنته على الوجه الأكمل والأحسن والأجمل.

وللقيام بالحقوق الواجبة تجاه سنة الرسول الكريم ﷺ، كان لا بد من معرفتها والإلمام بها، وهي حقوق كثيرة، ومنها:

أولا- الإيمان بحُجية السنة النبوية:

معنى حجية السنة النبوية: تصديق الأخبار الواردة في السنة النبوية والإقرار بها، وطاعة الأوامر الواردة فيها، وهذا لازم شهادة أن محمدا رسول الله، ومن لم يرفع بالسنة النبوية رأساً؛ فهو ناقضٌ لشهادة أن محمدا رسول الله.

ومرد حجية السنة النبوية إلى أمور، منها:

١- السنة النبوية وحيٌ من الله تعالى:

قال تعالى:﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤]. وفي حديث المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه حلالاً فأحلوه، وما وجدتم فيه حراما فحرموه، ألا وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله)[١٨٣].

(١٨٣) سنن أبي داود (٤٦٠٤).

Scanned with CamScanner

٢- أمر الله بطاعته سبحانه وطاعة رسوله ﷺ:

جاء الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ مقترنين في كثير من آيات القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران:٣٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[آل عمران:١٣٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[المائدة:٩٢]، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[الأنفال:٢٠]، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال:٢٤].

والأمر بطاعة الله سبحانه هو طاعة كتابه؛ الذي نقله لنا الرسول الكريم ﷺ، فلم يبق للأمر بطاعة الرسول ﷺ معنى إلا أن يُحمل على السنة النبوية.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾[الحشر:٧]، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ﴾[النساء:٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[النساء:١٣-١٤]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[الجن:٢٣].

السنة النبوية هي الحكمة:

وقد أمر الله ﷻ أمهات المؤمنين بذكرها، فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الأحزاب:٣٤]، وأخبر أن هذه الحكمة منزلةٌ من عنده سبحانه، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء:١١٣].

Scanned with CamScanner

ثانيا- الرضا والتسليم للسنة النبوية:

التسليم للسنة النبوية يقتضي عدم معارضتها، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥].

وتمام التسليم يقتضي أن لا يكون في قلب المسلم حرجٌ ولا غضاضةٌ عند اتباع أوامرها، وتصديق أخبارها، بل يكون مؤمنا مصدقا متبعا، وهو فَرِحٌ، مسرور، منشرح الصدر، موقنٌ بأن طاعة الرسول ﷺ هي الهداية، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[النور:٥٤].

ثالثا- تقديم السنة النبوية على غيرها من أقوال البشر:

الواجب تقديم كلام رسول الله ﷺ على الآراء والأهواء والعقول والأذواق والرؤى والمنامات والأحوال، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الحجرات:١]، وقال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)[١٨٤].

رابعا- التحاكم إلى السنة النبوية والرد إليها عند التنازع:

مقتضى تقديم كلام الرسول ﷺ ومقتضى حجية السنة النبوية أن يتم الرد إلى السنة النبوية والتحاكم إليها عند اختلاف الآراء والأهواء، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

(١٨٤) ذكره النووي في الأربعين النووية، ص١١٣، وقال: "حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح"..

Scanned with CamScanner

[النساء:٥٩]، والرد إلى النبي ﷺ يعني الرد إليه في حياته وإلى سنته بعد مماته.

وقال الله تعالى مخبرا عن المنافقين: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[النور:٤٨-٥٠].

ونفى الله الإيمان عن من لم يقبل التحاكم إلى النبي ﷺ، فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[النساء:٦٥].

خامسا- العناية بحفظ السنة النبوية:

حفظ السنة النبوية أمر تكفل الله به، فهو من لوازم حفظ القرآن الكريم، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩].

وكونها محفوظة من الله لا يعني أن يتكاسل المسلم في حفظها، وبذل الأسباب المادية للعناية بها، حفظا ونشرا وتدريسا وشرحا وتعلما وتعليما.

وأوجه حفظ السنة النبوية والعناية بها كثيرة، ومنها:

١- تدوين السنة النبوية:

والتدوين له أشكال عديدة من حيث طريقة التدوين فمنه التدوين في المخطوطات قديما، أو التدوين في المطبوعات حديثا، ومن حيث مضمون المدونات، فمنه التدوين بالأسانيد المتصلة من المؤلف إلى النبي ﷺ، ومنه التدوين المختصر بدون ذكر الأسانيد، ومن حيث طريقة ترتيب المدونات فمنه المرتب بالموضوعات، ومنه المرتب بالراوي الأعلى عن النبي ﷺ.

Scanned with CamScanner

٢- حفظ السنة النبوية عن ظهر قلب:

وقد جاء في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: (نضر الله امرءاً سمع مقالتي ووعاها، فأداها كما سمعها، فَرُبَّ مبلغ أوعى من سامع)(١٨٥).

وقد أمر الله أمهات المؤمنين بذكر الحكمة التي تتلى في بيوتهن، فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الاحزاب:٣٤].

٣- تمييز صحيح السنة النبوية من ضعيفها:

العناية بتمييز صحيح السنة من أهم أنواع حفظ السنة النبوية، وهو ذبٌّ عن رسول الله ﷺ، وحمايةٌ لجنابه الشريف ﷺ من الكذب عليه، وحمايةٌ للدين من التحريف والتبديل.

وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث المنقول إلينا بالتواتر أنه (من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)(١٨٦).

وقد كان هذا دأب الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم بالسنة النبوية إلى يومنا هذا، ولهم في هذا جهود مشكورة، فجزاهم الله عن الأمة خير الجزاء.

سادسا- نشر السنة النبوية:

السنة النبوية نورٌ وهدايةٌ، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾[النور:٥٤]. ونشر السنة النبوية يتخذ أشكالا كثيرة، سواء كان بالطباعة الورقية، أو على مواقع الانترنت أو البرامج الحاسوبية.

ومما ينبغي التنبه له في مقام نشر السنة النبوية: أن يحذر المسلم الناشر للسنة

(١٨٥) سنن الترمذي (٢٦٥٨)، وسنن أبي داود (٣٦٦٠)، وسنن ابن ماجه (٢٣٠).
(١٨٦) متفق عليه. صحيح البخاري (١١٠)، وصحيح مسلم (٣).

Scanned with CamScanner

من نشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة المكذوبة على رسول الله ﷺ، فقد جاء في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: (من حدّث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين)[١٨٧].

ويمكن تمييز الحديث الصحيح من الضعيف من خلال كتب العلماء المتمكنين في علوم الحديث، أو مواقع الانترنت الموثوقة التي يشرف عليها العلماء المتمكنون في علوم الحديث.

ومن نشر السنة النبوية: إحياء السنن المهجورة، قال رسول الله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء)[١٨٨].

سابعًا- التمسك بالسنة النبوية:

قال الرسول ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور؛ فإن كلَّ بدعة ضلالة)[١٨٩]، والعض على السنة النبوية بالنواجذ: كنايةٌ عن شدة التمسك بها، والنواجذ جمع ناجذ، وهو الضرس.

وقال ﷺ: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله وسنتي)[١٩٠].

وقال ﷺ: (تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: مَن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)[١٩١].

والسنة النبوية هي سفينة النجاة حين يكثر الشر والفساد، وتظهر البدع والفتن، وأجر التمسك بالسنة عند انتشار الفساد أعظم، ومنزلة أصحاب السنة أعلى وأكرم.

---

(١٨٧) صحيح مسلم (١).
(١٨٨) صحيح مسلم (١٠١٧).
(١٨٩) سنن أبي داود (٤٦٠٧).
(١٩٠) موطأ مالك (٣)، وصحيح مسلم (١٢١٨).
(١٩١) سنن أبي داود (٤٥٩٧)، وصححه الحاكم في المستدرك (٤٤٣)، وصححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى، ٣/٣٤٥.

Scanned with CamScanner

خلاصة الوحدة

السنة النبوية هي كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الموجه إلينا، وله علينا عدد من الحقوق والواجبات، وهي نور وهداية، لأنها نوع من الوحي الذي أوحاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم.

Scanned with CamScanner

أنشطة الوحدة

١- ما أبرز المعوقات التي تعوق بعض الناس عن دراسة هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسنته؟ واذكر أنموذجا قام بدراسة السنة النبوية وتجاوز العقبات التي كانت تعوقه، سواء كان كبيرا أم صغيرا في السن؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٢- ما مقدار الوقت الذي تعطيه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، قراءة ودراسة وحفظا؟ وهل يتناسب هذه الوقت مع أهمية السنة النبوية في حياتنا؟ مع مقارنة هذا المقدار بمقدار الوقت الذي كان يعطيه الصحابة رضي الله عنهم للسنة النبوية؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

Scanned with CamScanner

٤ | الوحدة الرابعة

نماذج من السُّنة النبوية

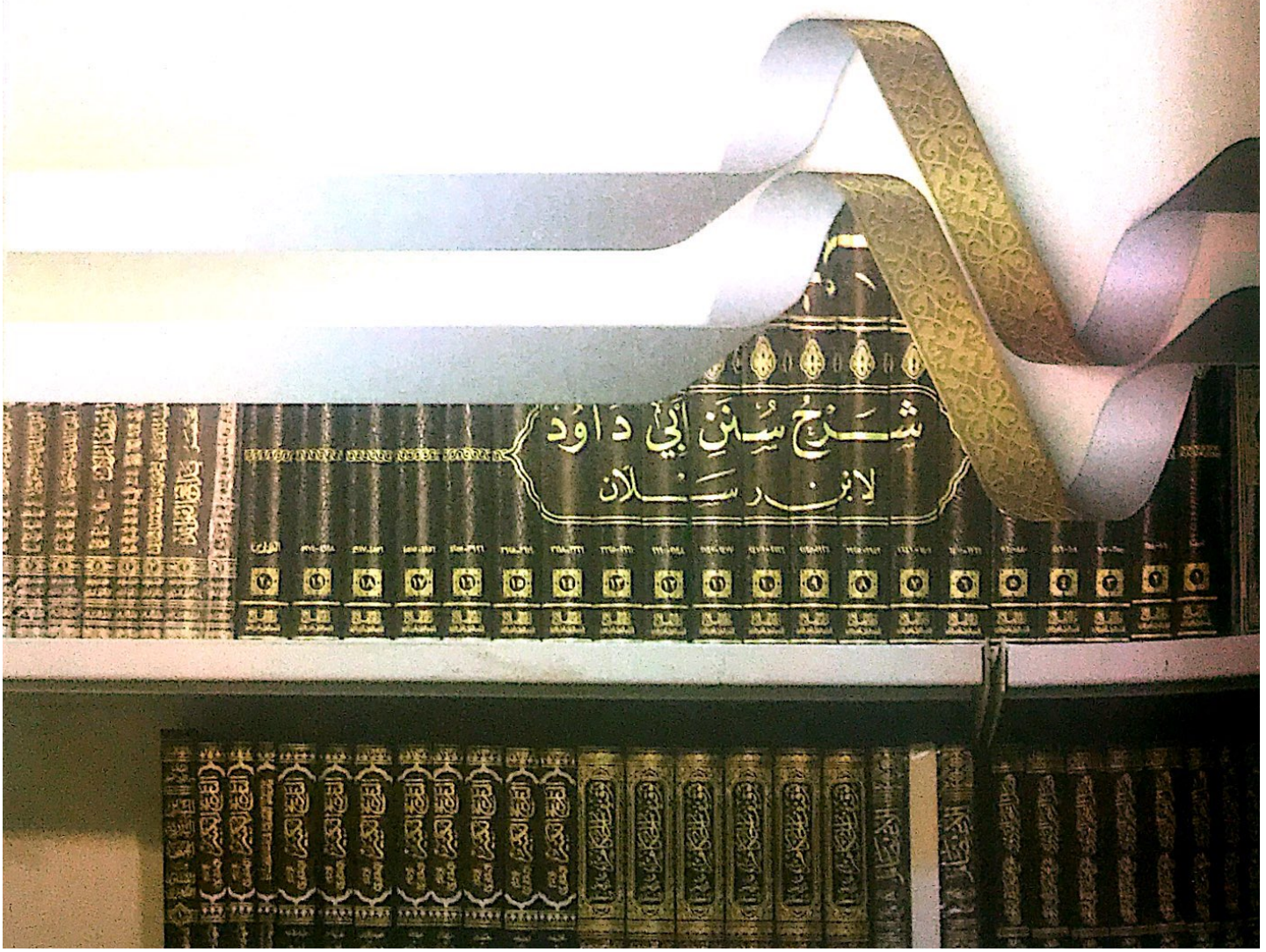

Scanned with CamScanner

الوحدة الرابعة: نماذج من السنة النبوية

تهدف هذه الوحدة إلى بيان:

١- طريقة دراسة حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم دراسة شاملة لروايته ودرايته.

٢- معرفة منزلة الحديث عند أهل العلم والحكم على الحديث صحة وضعفاً من الجوانب المهمة في دراسة السنة النبوية.

٣- المعنى الإجمالي الذي يشمل أحكام الحديث وفوائده وفقهه.

Scanned with CamScanner

النموذج الأول: حديث الولاية

نص الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى قال: مَن عادى لي وليًّا، فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجْله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه).[١٩٢]

منزلة الحديث:

هذا الحديث الشريف فيه توجيهٌ ودلالةٌ للمسلم على ما يوصله إلى محبة الله ووَلايته ورضوانه، فهو يبين مَن هُم أولياء الله وأحباؤه في الدنيا والآخرة؛ ولذلك قيل عنه: إنه أشرف حديث في ذكر الوَلاية والأولياء.

شرح مفردات الحديث:

عادى: آذى وأبغض وأغضب بالقول والفعل.

وليًّا: الولي هو المؤمن التقيّ، المواظب على طاعة الله والمخلِص له في عبادته.

آذنتُه: أعلمته.

النوافل: ما زاد على الفرائض من العبادات.

استعاذني: طلب مني الإعاذة، ولجأ إلى حمايتي ونصرتي.

لأعيذنه: لأحفظنه مما يخاف.

---

(١٩٢) صحيح البخاري (٦٥٠٢)

Scanned with CamScanner

الشرح الإجمالي للحديث

لقد بيَّن هذا الحديثُ منزلةَ أولياءِ الله عنده سبحانه وتعالى، وولي الله هو الذي جمع بين الإيمان والتقوى، فجزاه الله بأن جمع له البشرى في الدنيا والآخرة وأذهب عنه الخوف والحزن، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[يونس:٦٢-٦٤].

ولعظم منزلةَ أَوْلياء الله تعالى فقد تعهد الله جلّ في علاه بالدفاع عنهم، قال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾[الحج:٣٨]، وأنذر مَنْ عادَاهُمْ بِالحَرْبِ "مَن عادى لي وليًّا، فقد آذنتُه بالحرب"، ولذلك ينبغي على الإنسان أن يحرص أن يكون من أولياء الله، فينال هذه المنزلة العظيمة والرتبة الجليلة، وأن يحذر من إيذاء أولياء الله بالقول أو الفعل، فلا طاقة لمن يعاديهم بعقوبة الله جل وعلا، فالذين يعادونهم ويبغضونهم إنما يجنون على أنفسهم، ويتسببون بمعاداة الله لهم، وإعلانه الحرب عليهم، ومن أعلن الله تبارك وتعالى الحرب عليه فلا تسأل عن حاله، وعن كثرة عثراته، وعن كثرة فشله، وتعرضه لما يسوءه في الدنيا والآخرة.

طريق نيل وَلاية الله ﷻ

إن ولاية الله ﷻ لا تنال إلا بطاعته وترك معصيته، وعلى قدر ما يحقق العبد من الإيمان والتقوى يكون نصيبه من ولاية الله تبارك وتعالى، فكلما كان العبد أكثر تحقيقاً للإيمان وأكثر تقوى لربه كانت ولايته لله أعظم، فإنْ نَقص نُقص من ولايته بحسب ذلك.

وقد بين الحديث العظيم الأسباب التي تنال بها ولاية الله ﷻ (وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)، ويمكن إجمالها فيما يلي:

Scanned with CamScanner

السبب الأول- التقرب إلى الله بفعل الفرائض التي فرضها الله وأوجبها:

إذ لولا أهمية الفرائض ومكانتها عند الله لما أمر عباده بالتعبد له بفعلها والمحافظة عليها وجوبا.

وأعظم الفرائض على الإطلاق: فريضة التوحيد، فإن الله ﷻ ما أوجب على العباد أعظم منها، وما بعث الرُسل عليهم الصلاة والسلام إلا لأجل تحقيقها.

ثم فريضة الصلاة التي لعظمها ومحبة الله لها فرضها الله على رسوله ﷺ في أعلى مكانٍ وصل إليه بشر، وفرضها أول ما فرضها خمسين صلاةً في اليوم والليلة، لكنه سبحانه علم ضَعف عباده فرحمهم، وخفّف عنهم هذا التخفيف العظيم، فصارت خمس صلواتٍ في اليوم والليلة.

هذه الصلاة هي عمود الدين وأعظم الفرائض بعد الشهادتين، فلا ينال الإنسان وَلاية الله ﷻ وهو مفرط فيها مضيع لها.

ثم تأتي فريضة الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم بر الوالدين إلى غير ذلك مما أوجبه الله ﷻ، فكل ما أوجبه الله فهو مما افترضه على عباده وهو أحب ما يَتقرَّب إليه العبادُ به.

فإذا أردت ولاية الله ومحبته لك فانظر في صلاتك، وتفقّد باقيَ فرائضك، فإن وجدتها على ما يرضي الله ﷻ فإنك -بلا شك- نائلٌ من ولاية الله بحسب فعلك، وبحسب أدائك وقيامك بها على الوجه الشرعي.

السبب الثاني- فعل النوافل والتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى:

قال الله في الحديث القدسي: (ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه).

في قول الله ﷻ: (ولا يزال) دليل على الديمومة والاستمرار، فمن صفة الأولياء أنهم دائمون على فعل النوافل، حيث إن انتقال العبد من فعل الفرائض إلى مرحلة فعل النوافل دليلٌ على حبه لطاعة الله ﷻ وبالتالي فهو مستحق أن ينال محبة الله ووَلايته.

جاء ربيعة بن كعب الأسلمي إلى النبي ﷺ فقرّب له وضوءه، فلمح ﷺ في عيني الشاب رغبةً في سؤالٍ أو طلبٍ، فقال له ﷺ: (سلني حاجتك)؟

Scanned with CamScanner

ما هو المتوقع أن يتمنى هذا الشاب ويطلب من النبي ﷺ ؟

لقد فكر هذا الشاب وعلم أن كل ما في الدنيا سيفنى ويزول، وما عند الله هو الذي سيبقى، ولذلك قال:

يا رسول الله.. أسألك مرافقتك في الجنة!

هنا أرشده النبي ﷺ إلى شيء هو من أحب الأحوال إلى الله ﷻ أن يرى العبدَ عليها، فقال: (أعنّي على نفسك بكثرة السجود)،[١٩٣] لأن نوافل الصلاة أعظم النوافل.

ومن النوافل العظيمة التي يتقرب بها العبد إلى الله: كثرة قراءة القرآن، فلن يتقرب العبد إلى ربه بشيء أحب إليه من تلاوة كلامه.

وكذلك كثرة الذكر لله، فقد جاء في الحديث الصحيح: (يقُولُ اللَّه تَعالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعهُ إِذَا ذَكَرَني، فَإِن ذَكرَني في نَفْسِه، ذَكَرْتُهُ في نَفسي، وإِنْ ذَكَرَني في مَلإٍ، ذكَرتُهُ في مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ).[١٩٤]

ثمرات الولاية:

نيل وَلاية الله هي الفلاح والفوز، ولها الكثير من الثمرات، ومنها:

١. أن يحب الله عبدَه:

"فإذا أحببتُه": هذا دليل على أن الله يحب من تقرب إليه بالفرائض والنوافل، وأعظم بها من ثمرة.. أن يحب الله عبدَه!

فمن أحبه الله أحبه أهل السماء ووضع له القبول في الأرض، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن الله تعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريل، فقال: إني أحب فلاناً فأحببه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء،

(١٩٣) سنن النسائي (١١٢٨)، وسنن ابن ماجه (٣٨٧٩)، وصححه الألباني.
(١٩٤) متفق عليه. صحيح البخاري (٧٤٠٥)، وصحيح مسلم (٢٦٧٥).

Scanned with CamScanner

ثم يوضع له القبول في الأرض). [١٩٥]

٢. توفيق الله ورعايته لعبده:

من كان من أولياء الله وفقه الله لفعل الخير ورعاه وحفظ جوارحه عن الوقوع في المعاصي، قال الله ﷻ في الحديث القدسي: (كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجْله التي يمشي بها).

والمعنى: يوفقه الله ويسدده في سمعه وفي بصره وفي ما يعمل بيده وفيما يمشي إليه برجله، فلا يسمع إلا ما يحب الله أن يُسمع، ولا يبصر إلا ما يحب الله أن يُبصر، ولا يعمل بيده إلا ما يرضي الله، ولا يمشي برجله إلا لما يرضي الله ﷻ، فإذا ما حانت منه نظرة إلى شيء محرم وفقه الله لغض بصره، وإذا حدثته نفسه بالذهاب لمكان محرم عصمه الله من ذلك، وإن همّ بفعل حرام صرف الله همه وخاطره عنه، كما قال الله تبارك وتعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤]، فيكون هذا المؤمن ولياً لله مسدداً في أقواله وفي أفعاله.

٣. استجابة الدعاء:

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: (ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه).

السؤال يكون لنيل مطلوب محبوب للنفس يسعى الإنسان لتحقيقه، والاستعاذة تكون من مرهوب ومحذور يخشى الإنسان من وقوعه.

فالإنسان عندما يدعو ربه لا يخلو من هاتين الحالتين؛ إما أن يطلبه ويسأله تحقيق شيء يريده أو يستعيذ ويستجير به من شيء يخاف وقوعه، وفي كلتا الحالتين فإن الله يكرمه بأن يجيب دعاءه وذلك لكرامته على الله تعالى لأنه من أوليائه الطائعين المتقين.

وقد عُرف كثيرٌ من الصحابة بإجابة الدعاء، كالبراء بن مالك، والبراء بن عازب، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم رضي الله عنهم.

ويجدر التنبيه بأنه قد يدعو المؤمن ربه فلا يستجاب له؛ وذلك لما يعلم الله من أن الخيرة له في غير ما سأله، فيعوضه بما هو خير له في دينه ودنياه، ففي الحديث الصحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة

(١٩٥) متفق عليه. صحيح البخاري (٣٢٠٩)، وصحيح مسلم (٢٦٣٧).

Scanned with CamScanner

رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجَّل له دعوته، وإما أن يدَّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذاً نُكثِر، قال: الله أكثر). (١٩٦)

فوائد الحديث:

١- إثبات الوَلاية لله ﷻ؛ أي: إن لله تعالى ﷻ أولياءَ من عباده.

٢- أن معاداة أولياء الله من كبائر الذنوب؛ لأن الله جعل ذلك إيذانًا بالحرب.

٣- أن الفريضة أحب إلى الله من النافلة.

٤- أن من واظب على السنن والنوافل وصل إلى محبة الله ﷻ.

(١٩٦) مسند أحمد (١١١٣٢).

Scanned with CamScanner

النموذج الثاني: حديث (قل آمنت بالله ثم استقم)

نص الحديث:

عَنْ أَبِي عَمْرٍو سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ؛ قَالَ: (قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ). (١٩٧)

مكانة الحديث:

هذا الحديث أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، من حيث إنه شمل أمور الاعتقاد وأمور الظاهر والباطن، وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، وشمل الحث على الثبات على هذه الطاعات، فهو وصية جامعة من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ؛ ففي هذين الأمرين جمع النبي ﷺ الدِّين كله. وقد بوَّب النووي على الحديث بقوله: "باب جامع أوصاف الإسلام".

شرح مفردات الحديث:

(قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك): طلبه أن يعلمه كلاماً جامعاً لأمر الإسلام كافياً حتى لا يحتاج بعده إلى غيره.

(قل آمنت بالله): الإيمان لغةً: التصديق والإقرار الجازم، وفي الاصطلاح الشرعي: اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

---

(١٩٧) صحيح مسلم (٣٨).

Scanned with CamScanner

(ثم استقم): أي الزم طريق الاستقامة، والاستقامة هي: سلوكُ الصِّراط المستقيم، وهو الدِّينُ القيِّم من غير تعريج عنه يَمنةً ولا يَسرةً، ويشمل ذلك فعلَ الطَّاعات كلِّها، الظاهرة والباطنة، وتركَ المنهيات كلِّها كذلك.

الشرح الإجمالي للحديث:

جاء الصحابي الجليل سفيان بن عبدالله ﷺ إلى النبي ﷺ سائلاً مسترشداً وهذا من حرص الصحابة ﷺ على تعلم أمور دينهم وما ينفعهم في آخرتهم، فقال له: قل لي قولاً جامعاً موجزاً أحفظه وأعمل بمقتضاه ويكون واضحاً ومفهوماً فلا أحتاج إلى سؤال أحدٍ بعدك عن معناه.

فقال له النبي ﷺ: "قل آمنت بالله" أمره بالإيمان؛ لأن الله أمر به في أكثر من آية في كتابه العزيز، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء:١٣٦].

والإيمان به نجاة الإنسان من الخسارة في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر:١-٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥].

وزاده النبي ﷺ بقوله: "ثم استقم"، فلا بد مع الإيمان من الاستقامة على شرع الله ولزوم طاعته ﷻ والابتعاد عن نواهيه حتى يتحقق للإنسان الإيمان الكامل.

Scanned with CamScanner

الحث على الاستقامة:

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالاستقامة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، منها:

١- أمر الله بطلب الهداية للصراط المستقيم في كل ركعة من صلاتنا حيث قال سبحانه: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦].

٢- أمر الله بالاستقامة فقال عز من قائل: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[هود:١١٢].

٣- قال الله سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾[الشورى:١٥].

٤- قال الله سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[الأنعام:١٥٣].

Scanned with CamScanner

ثمرات الاستقامة:

للاستقامة ثمراتٍ عديدة وفوائد جليلة، منها:

١- تنزُّل الملائكة على أهل الاستقامة:

تتنزل الملائكة على أهل الإستقامة في مواطن عصيبة يكونون فيها بحاجة ماسة للطمأنينة والسكينة،قال الله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت:٣٠]، فتتنزل عليهم الملائكة عند احتضارهم ودنو أجلهم، حيث يكون الإنسان في تلك اللحظة العصيبة مقبلاً على حياةٍ جديدة لا يدري كيف سيكون حاله فيها، فتتنزل ملائكة الرحمة على أهل الاستقامة لتفيض على أرواحهم الطمأنينة وتسكب على قلوبهم السكينة، فيفرحون ويستبشرون حيث تقول لهم:﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾[فصلت:٣٠] أي: لا تخافوا مما أنتم مقدمون عليه من أمور الآخرة، ولا تحزنوا على ما فاتكم من أمور الدنيا ولا ما تركتم فيها من أهل وأولاد، ثم تأتيهم البشرى العظيمة التي يتوق لها كل مسلم ويسعى لنيلها كل مؤمن، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت:٣٠].

٢- سعة الرزق في الدنيا:

قال الله تعالى:﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[الجن:١٦].

٣- انشراح الصدر والحياة الطيبة:

قال الله تعالى:﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٧].

٤- المحبة والقبول في قلوب الناس:

قال الله جل وعلا:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦].

Scanned with CamScanner

مجالات الاستقامة:

الاستقامة كلمة جامعة لما ينبغي أن يكون عليه المسلم في حياته، فتشمل استقامته في علاقته مع الله ﷻ عبادةً وروحانيةً واستسلاماً وطاعةً وامتثالاً، وتشمل كذلك استقامته في علاقته مع الخلق براً وصلةً وإحساناً وحفظاً لأعراضهم وأداءً لحقوقهم ومعاملتهم بالأخلاق الفاضلة، ويدخل فيها كذلك استقامته في تعامله مع نفسه التي ائتمنه الله عليها وذلك بتزكيتها وتهذيبها وتجميلها بكل ما يحسن بها من خلق وعلم ومهارة وارتقاء بها في سلم المعالي وعظائم الأعمال والنأي بها عن مواطن الزلل وسفاسف الأمور.

وهذه بعض المجالات المهمة في الاستقامة:

أولاً: استقامة القلب

القلب هو ملك الجوارح، وهو الأساس، فإذا استقام القلب استقامت الجوارح، وكما أن هناك عبادات ظاهرة فهناك عبادات باطنة، تسمى: أعمال القلوب، مثل محبة الله والتوكل عليه والثقة به وإحسان الظن به والإخلاص له والخوف والشفقة منه سبحانه وتعالى، وكذلك توجد معاصٍ باطنة وقلبية مثل سوء الظن بالله والتوكل على غيره والرياء والحسد والحقد وغيرها من المعاصي الواجب اجتنابها.

وتكون استقامة القلب بتحقيق تلك العبادات وإخلاصها لله ﷻ وتصفية القلب من المنهيات والمعاصي المذكورة ونحوها.

ثانياً: استقامة الجوارح

استقامة الجوارح تكون بفعل ما افترضه الله واجتناب مانهى الله عنه.

وأعظم ما أمر الله به من عبادات الجوارح الصلاة ثم تليها الفرائض الأخرى كالصوم والزكاة والحج وبر الوالدين وصلة الأرحام وحفظ اللسان وغض البصر ونحوها، فيحافظ على فرائض الله ويقيمها على الوجه الأكمل الذي شرعه الله ﷻ ثم يتقرب إليه بعد ذلك بفعل النوافل والمستحبات.

وتكون استقامة الجوارح كذلك باجتناب ما نهى الله عنه من الغيبة والنميمة والكذب والبهتان والظلم والبغي على الناس والنظر لما حرم الله على الإنسان النظر إليه والاستماع

Scanned with CamScanner

لما نهى عن الاستماع له والتفريط في الأمانة والتفريط في أداء الحقوق الواجبة من بر للوالدين وصلة للأرحام وحقوق الجار وحقوق الناس.

ثالثاً: الاستقامة على الأخلاق الفاضلة

جاء العديد من الأحاديث التي تحث على الأخلاق الفاضلة، ومنها:

عن أبي هريرة ﷺ: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: (تقوى الله وحسن الخلق)، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: (الفم والفرج).[١٩٨]

وقال ﷺ: (أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقًا).[١٩٩]

وقال ﷺ: (إنّ من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا).[٢٠٠]

معينات على الاستقامة:

١. الإقبال على القرآن الكريم:

القرآن العظيم وسيلة الاستقامة الأولى، وهو حبل الله المتين، والنور المبين، من تمسك به عصمه الله، ومن اتبعه أنجاه الله، ومن تدبره وعمل به هُدي إلى صراط مستقيم.

فالقرآن الكريم يزرع الإيمان، ويزكي النفس، ويرسم للمسلم منهجه في الحياة، ويزوده بالتصورات والقيم التي ينبغي أن يكون عليها، ولذلك كان الصالحون يتلقون آيات القرآن الكريم على أنها رسائل من ربهم جل وعلا فيقبلون عليها بشغف ويتلونها بوعي وحضور قلب ويحولونها إلى ممارسات عملية في واقع حياتهم.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[النساء:١٧٤-١٧٥].

---

(١٩٨) سنن الترمذي (٢٠٠٤).

(١٩٩) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٨٢١٤)، والمعجم الكبير للطبراني (٤٧١).

(٢٠٠) سنن الترمذي (٢٠١٨).

Scanned with CamScanner

وقال الله ﷻ واصفاً كتابه العزيز: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى:٥٢]، فوصف الله تبارك وتعالى كتابه بأنه (روح) فهو روح الحياة وإشراقها، وسعادة الدنيا، ونور الإنسان وضياؤه الذي يهتدي به في مسالك ودروب حياته.

فمن أراد الاستقامة في حياته فليجعل القرآن هادياً له ومرشداً، وذلك بتخصيص أوقات لتلاوته وقراءة تفسير آياته والتدبر فيها والتأمل في معانيها وتقييم سلوكه وأعماله في ضوء إرشادات القرآن الكريم وتعاليمه.

٢. الدعاء:

في آيات كثيرة من كتاب الله سبحانه وتعالى يضيف الله ﷻ إلى نفسه الهداية إلى صراطه المستقيم، وأن الأمر كله بيده ﷻ يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وبيده سبحانه قلوب العباد فمن شاء أقامه على الصراط ومن شاء أزاغه، قال الله تعالى:﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[يونس:٢٥].

ولهذا كان من أول قواعد الاستقامة وأسسها التوجه الصادق إلى الله سبحانه وتعالى في طلبها لأنها بيده، وقد كان أكثر دعاء النبي ﷺ: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك).[٢٠١]

وكان الحسن البصري رحمه الله إذا قرأ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت:٣٠] قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة.[٢٠٢]

٣. الصحبة الصالحة:

الإنسان مدني بطبعه فهو لا يعيش بمعزل عن الناس؛ بل يحرص على تكوين بيئة من الأصدقاء والزملاء حيث يمثّل ذلك حاجة من الحاجات الإنسانية التي يسعى الإنسان لإشباعها.

والواجب على الفرد أن يختار أصدقاءه وزملاءه بعناية تامة لأن للصحبة أثرا في سلوك الفرد، وكما قيل: قل لي من تصاحب أقل لك من أنت!

---

(٢٠١) سنن الترمذي (٢١٤٠).

(٢٠٢) مجموع رسائل ابن رجب، ١/ ٣٣٩.

Scanned with CamScanner

وقد بين لنا النبي ﷺ أثر الجليس الصالح وجليس السوء بقوله:

(إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحْذِيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة). (٢٠٣)

قال: (كحامل المسك ونافخ الكير) حامل المسك: هو الإنسان الذي يحمل معه هذه البضاعة، والمسك معروف، وهو طيب يستخرج في الأصل من دم الغزال.

والكير: هو حانوت الحداد، يكون له مكان معين ينفخ فيه، فتتوقد النار على الحديد مع النفخ، فيكون له رائحة سيئة جدًّا، وشرار يتطاير، ونار تتلهب قوية حامية.

قال: (فحامل المسك إما أن يُحْذِيك) يعني: يهبك، أو يعطيك، (وإما أن تبتاع منه) يعني: تشتري منه، (وإما أن تجد منه ريحاً طيبة)، يعني: لن تعدم خيراً في الأحوال الثلاثة، إما أن يعطيك شيئاً، وإما أن تجد منه الريح الطيبة، فأنت رابح بمجالسته، ولن تتأذى بمجالسته.

قال: (ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك) أي تطير عليها شرارة، (وإما أن تجد منه ريحاً منتنة) فالجالس متأذ منه في جميع الأحوال.

فوائد من الحديث:

١- حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلّم ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المسلم، امتثالاً لقول النبي ﷺ: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز). (٢٠٤)

٢- حسن السؤال، حيث سأل الصحابي سفيان بن عبد الله سؤالاً عظيماً عن أمر عظيم استفاد منه كثيراً وأفاد الأمة من بعده، فرضي الله عنه وأرضاه.

---

(٢٠٣) صحيح البخاري (٥٥٣٤)، وصحيح مسلم (٢٦٢٨).
(٢٠٤) صحيح مسلم (٢٦٦٤).

Scanned with CamScanner

٣- وضع هدف يعمل المسلم لتحقيقه، ويكون غاية يسعى للوصول لها، وهذا الحديث النبوي الكريم يرسم للمسلم هدفاً وغايةً في حياته ألا وهو الاستقامة في كل شؤون حياته، وأنعم به من هدف وأكرم به من غاية.

٤- الإيمان والاستقامة قرينان يكون بهما نجاة المسلم بين يدي ربه، وبهما يكون دخول الجنة، ولذا جاء توجيه النبي ﷺ بالجمع بين الإيمان والاستقامة بقوله: (قل آمنت بالله ثم استقم).

٥- في قول الله ﷻ: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾[فصلت:٦] إشارة إلى أن الواجب على الإنسان الاستقامة على شرع الله، ولكن مع حرصه على ذلك سيحصل منه التقصير والخطأ حيث هي طبيعة البشر؛ فأرشده الله ﷻ إلى المبادرة بالتوبة والاستغفار على الدوام.

Scanned with CamScanner

النموذج الثالث: حديث (يا عبادي)

نص الحديث:

عَنْ أَبي ذَرٍّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا دَخَلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ: أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ). (٢٠٥)

مكانة الحديث:

هذا حديثٌ شريف القدر، عظيم المنزلة، فهو حديثٌ قدسيٌّ اشتمل على قواعد عظيمة في أصول الدين وفروعه والآداب ولطائف القلوب وغيرها؛ ولذلك قال الإمام أحمد: ليس لأهل الشام حديثٌ أشرف من هذا الحديث. وكان أبو إدريس الخولاني الراوي عن أبي ذر إذا حدَّث بهذا الحديث جثا على ركبتيه.

---

(٢٠٥) صحيح مسلم (٢٥٧٧).

Scanned with CamScanner

شرح مفردات الحديث:

فاستهدوني: اطلبوا مني الهداية.

صعيد واحد: مقام واحد، والصعيد وجه الأرض.

المِخيط: الإبرة.

أحصيها لكم: يحصي أعمال عباده بعلمه المحيط بكل شيء، فلا يفوته منها دقيق ولا جليل.

أوفيكم إياها: أي أعطيكم جزاء أعمالكم وافياً تامًّا.

الشرح الإجمالي للحديث:

إن هذه النداءات المتكررة في الحديث لتأخذ بفؤاد العبد وروحه؛ لما فيها من سعة رحمة الله وكرمه مع كمال غناه، مؤكدة شدة افتقار جميع الخلق إلى الخالق العظيم سبحانه وتعالى.

فقوله سبحانه في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي) يعني: أنه منع نفسه من الظلم لعباده، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾[يونس: ٤٤]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾[النساء: ٤٠]، وهو يدل على أن الله قادر على الظلم، ولكن لا يفعله فضلا منه وجودا وكرما وإحسانا إلى عباده.

وقوله: (وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا) يعني: أنه تعالى حرم الظلم على عباده، ونهاهم أن يتظالموا فيما بينهم، فحرام على كل عبد أن يظلم غيره.

والظلم نوعان:

الأول: ظلم النفس، وأعظمه الشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]، ثم يليه المعاصي على اختلاف أجناسها من كبائر وصغائر.

الثاني: ظلم العبد لغيره، وهو العدوان والبغي.

وقوله (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني

Scanned with CamScanner

أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم): هذا يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم شيئا من ذلك كله، وأن من لم يتفضل الله عليه بالهدى والرزق، فإنه يحرمهما في الدنيا، ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه أوبقته خطاياه في الآخرة. قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[الكهف:١٧]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾[فاطر:٢].

وقد استدل إبراهيم الخليل عليه السلام بتفرد الله بهذه الأمور على أنه لا إله غيره، وأن كل ما أُشرك معه فباطل، فقال لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[الشعراء: ٧٥ - ٨٢]، فإن من تفرد بخلق العبد وبهدايته وبرزقه وإحيائه وإماتته في الدنيا، وبمغفرة ذنوبه في الآخرة، مستحق أن يفرد بالإلهية والعبادة والسؤال والتضرع إليه والاستكانة له. قال الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الروم:٤٠].

وفي الحديث دليل على أن الله يحب أن يسأله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم، من الطعام والشراب والكسوة وغير ذلك، كما يسألونه الهداية والمغفرة.

والهداية التي يسألها العبد من ربه سبحانه نوعان:

الأولى: هداية دلالة وإرشاد إلى معرفة الحق.

الثانية: هداية تيسير وتوفيق لسلوك الحق.

ولهذا أمر الله عباده أن يقرؤوا في كل ركعة من صلاتهم قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة: ٦].

والاستغفار من الذنوب: هو طلب المغفرة، والعبد أحوج شيء إليه، لأنه يخطئ بالليل والنهار، وقد تكرر في القرآن ذكر التوبة والاستغفار، والأمر بهما، والحث عليهما.

وقوله: (يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني): يعني أن العباد لا يقدرون أن يوصلوا إلى الله نفعا ولا ضرا، فإن الله تعالى غنيٌّ حميد، لا

Scanned with CamScanner

حاجة له بطاعات العباد، ولا يعود نفعها إليه، وإنما هم ينتفعون بها. ولا يتضرر سبحانه وتعالى بمعاصيهم، وإنما هم يتضررون بها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٧٦]، وقال ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٤٤]، وقال حاكيا عن موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم:٨].

والله تعالى يحب من عباده أن يتقوه ويطيعوه ويتوبوا إليه، ولهذا يفرح بتوبة التائبين، ويحب أن يعلموا أنه لا يغفر الذنوب غيره، وأنه قادر على مغفرة ذنوب عباده، وأنه لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه. ومحبته سبحانه لهذا كله: ليست إلا من كمال جوده وإحسانه إلى عباده، ومحبته لنفعهم، ودفع الضرر عنهم، ولم تكن إلا مع غناه عنهم وعن طاعاتهم وتوباتهم.

وقوله: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئا): هو إشارة إلى أن ملكه لا يزيد بطاعة الخلق، ولو كانوا كلهم بررة أتقياء، قلوبهم على قلب أتقى رجل منهم، ولا ينقص ملكه بمعصية العاصين، ولو كان الجن والإنس كلهم عصاة فجرة قلوبهم على قلب أفجر رجل منهم، فإنه سبحانه الغني بذاته عمن سواه، وله الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، فملكه ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

وفي هذا الكلام دليل على أن الأصل في التقوى والفجور هو القلب، فإذا بر القلب واتقى برت الجوارح، وإذا فجر القلب، فجرت الجوارح، كما قال النبي ﷺ: (التقوى هاهنا) وأشار بيده إلى صدره.[٢٠٦]

وقوله (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر): المراد بهذا ذكر كمال قدرته سبحانه، وكمال ملكه، وأن ملكه وخزائنه لا تنفد، ولا تنقص بالعطاء، ولو أعطى الأولين والآخرين من الجن والإنس جميع ما سألوه في مقام واحد، وفي ذلك حث للخلق على سؤاله وإنزال حوائجهم به.

---

(٢٠٦) صحيح مسلم (٢٥٦٤).

Scanned with CamScanner

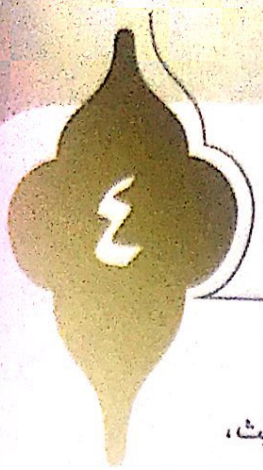

خلاصة الوحدة

عند دراسة سنة النبي صلى الله عليه وسلم: لا بد من معرفة الحديث، وتخريجه، ومنزلته، ومعناه الإجمالي، ومعناه التفصيلي، ومعرفة أحكامه وفوائده. وبهذا يتحقق لدارس السنة النبوية نظرة شاملة للحديث الذي يدرسه.

Scanned with CamScanner

أنشطة الوحدة

١- قم باختيار حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وادرسه دراسة متأنية شاملة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٢- كيف يستطيع دارس الحديث أن يميز الحديث الصحيح من الحديث الضعيف؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

Scanned with CamScanner